

د. عادل فـاخوري

تيارات في السِّيَاسِ

دارُ الطليعة للطباعة والنشر
بيروت

هذا الكتاب

السيمياء ، أي العلم الذي يبحث
في العلامات ، يشهد اليوم ازدهاراً ،
إن على الصعيد النظري وإن على
الصعيد التطبيقي . ولاشك أن سعة
المجالات التي يتطرق إليها هي التي
أدت إلى الاهتمام المتزايد بهذا
العلم من قبل اختصاصات متنوعة
كالفلسفة والمنطق واللسانية
والإنتروبولوجيا والنقد الأدبي
والفني الخ

يقدم هذا الكتاب عرضاً منهجياً
للنظريات الرئيسية الشائعة حديثاً ،
متقصباً المفاهيم ، ومقترحاً
المصطلحات الدقيقة الموافقة ،
وذلك بغية تأسيس اللغة السيميائية
في الفكر العربي ..

دار الطليعة للطباعة والنشر

بيروت

حقوق النشر محفوظة
لدار الطليعة للطباعة والنشر
بيروت - لبنان
ص.ب. ١١١٨١٣
تلفون : ٣١٤٦٥٩
٣٠٩٤٧٠

الطبعة الاولى
تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٠

للمؤلف

- المنطق الرياضي ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، طبعة رابعة
منقحة ، بيروت ، ١٩٨٨ .
- الرسالة الرمزية في أصول الفقه ، دار الطليعة ، طبعة ثانية ،
بيروت ، ١٩٩٠ .
- منطق العرب ، من وجهة نظر المنطق الحديث ، دار الطليعة ،
طبعة ثالثة قيد الاعداد .
- اللسانية التوليدية والتحويلية ، دار الطليعة ، طبعة ثانية ،
بيروت ، ١٩٨٨ .
- علم الدلالة عند العرب ، دراسة مقارنة مع السيميائية الحديثة ،
دار الطليعة ، طبعة ثانية قيد الاعداد .

فهرس الموضوعات

٧	مقدمة
١١	I نظرة شاملة
١١	١. تعريف العلامة
٢٣	٢. أقسام العلامة
٢٩	II التيار اللساني
٣٠	١. تعريف العلامة
٣٣	٢. العبارة والمضمون
٣٦	٣. الدلالة الأصلية والدلالة التبعية
٤٠	٤. تصنيف الانساق السيميائية
٤٦	III التيار المنطقي الفلسفي
٤٦	١. المقولات الكلية
٤٩	٢. مفهوم العلامة
٥٢	٣. نسب العلامة
٥٥	١ - ٣. العلامة بالنسبة إلى الوسيلة
٥٧	٢ - ٢. العلامة بالنسبة إلى الموضوع
٦١	٣ - ٣. نسبة العلامة إلى التعبير
٦٤	٤ - ٤. أصناف العلامات

IV الطرح السلوكي للسمياء ٧٠

١. العلامة والتسويم ٧١
٢. مستويات التسويم ٧٦
- ١ - ٢. علم المعنى ٧٨
- ٢ - ٢. علم الدلالة ٨٠
- ٢ - ٣. علم التداول ٨١
٣. تصنيف العلامات ٨٢
٤. ضروب المعاني وطرق استعمال العلامات ٨٥

V العلامة ونظرية الأفعال ٨٩

١. الفعل ٨٩
٢. الفهم ٩٠
٣. الفعل الدلالي ٩١
٤. العلامات اللسانية ٩٣
٥. العلامة والماركة ٩٤
٦. تقريع المجال السيميائي ٩٥
٧. جهات القصد الاتصالي ٩٧
٨. الطقسيات والسحريات ١٠١
٩. الإيصال الجمالي ١٠٣

المصادر والمراجع ١٠٥

مقدمة

منذ الستينات ومجال علم السيمياء يُظهر نشاطاً متزايداً على كافة الصعد . ففي أكثر من بلد أخذت تتألف جمعيات تعنى بهذا العلم ، أقدمها الجمعية الدولية للدراسات السيميائية (١٩٦٩) International Association for Semiotic Studies : وبدأت تتوالى المؤتمرات التي تتطرق إلى مختلف النواحي المتصلة بالسيمياء بشكل أو بآخر . كما صدرت مجلات متعددة بلغات مختلفة متخصصة في هذا النوع من الأبحاث ، منها مجلة الجمعية الدولية المذكورة Semiotica ومجلة Semiosis الألمانية وVersus الإيطالية وDegrés البلجيكية وStudia Semiotyczne البولونية وKodikas اليونانية الخ فضلاً عن الكتب والمراجع التي وُضعت بهذا الخصوص .

لا ريب أن من الدوافع التي دعت إلى تعاظم الاهتمام بالسيمياء هو تشعب الموضوعات التي يتناولها هذا العلم . فباستثناء قلة نادرة من الباحثين الذين يقصرون مجاله على الألفاظ ، مثل كلاوس G.Klaus ، ثمة شبه إجماع على أن سائر العلامات غير اللفظية هي كذلك من موضوعاته الأساسية . وهناك عدد غير يسير من السيميائيين كمورس Ch. Morris وسيبيوك Th. Sebeok يُدرج أيضاً

العلامات التي يستعملها الحيوان تحت هذا العلم . بل إن البعض يذهب أبعد من ذلك في توسيعه لمجال السيمياء ، ليشمل الاتصال ما بين الخلايا الحية (Bionique) وحتى الاتصال ما بين الآلات (Cybernétique) .

ايكو U. Eco مثلاً يعرض ، من الأبواب التي تدخل تحت هذا المجال التفصيل الآتي : علامات الحيوانات ، علامات الشم ، الاتصال بواسطة اللمس ، كودة المذاق ، الاتصال البصري ، أنماط الأصوات والتنغيم Intonation ، التشخيص الطبي ، حركات وأوضاع الجسد ، الموسيقى ، اللغات الصورية ، اللغات المكتوبة ، الأبجديات المجهولة ، قواعد الآداب ، الايديولوجيات ، الموضوعات الجمالية والبلاغة .

إن الاقبال على السيمياء هو نتيجة حاجة الفروع المذكورة لادوات قادرة على وصف وتفسير يتمتعان بدرجة رفيعة من الدقة . X
في الواقع ، تصلح السيمياء حالياً لأن تكون وسيلة فعالة لاستقصاء أنماط متنوعة من عمليات الاتصال والتبليغ ، إذ أنها أصبحت تمتلك غدة من المفاهيم المجردة ، تتيح لها استيعاب ما هو مشترك بين كثير من هذه العمليات .

لكن ، بالرغم من هذا الازدهار وبالرغم من تشعب فروع الدراسة ، لا يمكن بعد اعتبار السيمياء نسقاً نظرياً متكاملاً وجاهزاً ، بل ليس هناك سوى طروحات متفاوتة من حيث المنهجية والشمول .

إن المحاولات ، التي يمكن أن تُحسب على مجال السيمياء ، يعود الفضل فيها أساساً لتيارين رئيسيين . فمن جهة ، ساهمت الفلسفة منذ نشأتها مع أفلاطون وأرسطو والرواقيين ، مروراً بفلاسفة العرب والقرون الوسطى والفلاسفة الحديثين أمثال لوك ولايبنتز وولف ولامبرت وهيغل ، وصولاً إلى فريجه وپيرس

وهوسرل وفتغنشتاين ومورس في إرساء التفكير حول مفهوم الدلالة وأقسامها ، وذلك بغرض تحديد دور العلامات وخصوصاً دور اللغة في المعرفة . ومن جهة أخرى كان للسانية الأوروبية المعاصرة ، خصوصاً بفضل مؤسسها دوسوسير وبفضل أعمال ياكوبسون وتروبتزكوي Trubetzkoy وهيلمسلاف Hjelmslev ، التأثير الكبير في فتح الآفاق أمام الأبحاث السيميائية العلمية المتنوعة . وكان جل هم هذا التيار تطبيق الطرق والمبادئ التي أوجدتها اللسانية على مجالات أخرى من الثقافة ، وبالأخص على الآداب وعلم الإناسة (الأنثروبولوجيا) والفيلم والفن التشكيلي والهندسة والموسيقى والأزياء والملصقات الخ ...

منذ الستينات ، بدأ التفاعل بين التيار الفلسفي والتيار اللساني ، مما أدى إلى بعض الطروحات التي تسعى إلى التوفيق بين الرؤيتين ، ثمة محاولة مهمة قام بها أستاذ اللسانية في برلين يورغن ترابانت Jürgen Trabant تتوخى إعادة بناء السيمياء على مفهوم مغاير للتعريفات السابقة ، هو مفهوم الفعل . وقد اعتمد لذلك على نظرية الأفعال الكلامية Speech act theory التي يأخذ بها فلاسفة اللغة الطبيعية Ordinary language philosophy . وخصوصاً على تصنيف سورل J. Searle ، بالإضافة إلى بعض المذاهب المتوافقة معها كنظرية المتندرة الإبلاغية Theorie der kommunikativen kompetenz لهابرماس Habermas وبنائية Konstruktivismus مدرسة إيرلنغن .

من هنا وقع اختيار كتابنا هذا على المواد الآتية . فبعد نظرة شاملة (في الفصل I) لمختلف مفاهيم العلامة وأقسامها ، وذلك بغية تقريب القارئ لمصطلحات هذا العلم الجديد . يشرع الفصل الثاني في عرض مفصل للموضوعات السيميائية التي شاعت في اللسانية الأوروبية ، إما تتصف به من الوضوح والسهولة بوجه عام .

وفي الفصل الثالث ، يجري تقصي البحث في السيمياء عند الفيلسوف الأميركي بيرس Peirce ، إذ أنها تشكل أغنى وأعمق طرح فلسفي في هذا المجال . أما الفصل الثالث ، فقد أفردناه لنظرية مورس Ch. Morris ، لأنها تقيم ، ضمن التيار المنطقي الفلسفي ، تأسيساً جديداً ، معتمداً على المذهب السلوكي . وفي الفصل الأخير ، عرضُ لمحاولة ترابانت Trabant التي تتطرق إلى السيمياء من منظور نقدي للتيارات السالفة .

I

نظرة شاملة

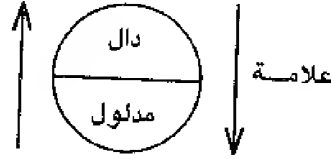
إن محاولة تأسيس نظرية موحدة شاملة للعلامات لم تقم إلا في أوائل القرن العشرين على يد الفيلسوف الأميركي بيرس Peirce من جهة ، والعالم الألسني السويسري دو سوسير De Saussure من جهة أخرى . لكن يمكن العثور على بعض التعريفات والتصنيفات في هذا المجال عند الفلاسفة والمناطق والنحاة منذ نشأة الفكر اليوناني ولعل نظرية الدلالة ، كما ترد في كتب المتأخرين من المناطق والنحاة العرب ، هي العرض الأكمل لعلم السيميائية Semiotics, Sémiologie عند القدماء.

١ - تعريف العلامة

... جرى العرف على استعمال كلمة «Signe» أي علامة بمعنى الدال ، ففي اللغة يقال مثلاً أن لفظة « انسان » هي علامة تدل على الانسان . خلافاً لهذا المفهوم الشائع ، يحدد دو سوسير العلامة Signe بأنها المركب من الدال والمدلول^(١) ، بحيث أنه يستحيل تصور العلامة دون تحقق الطرفين ، بل ان كل تغير يعترى الدال

(١) De Saussure, F. Cours de linguistique générale, p.99.

يعتري المدلول ، والعكس بالعكس . فَمَثَلُ العلامة كما يقول الألسني السوسيري^(١) ، مَثَلُ الورقة التي لا يمكن قطع إحدى صفحتيها دون قطع الأخرى . هذا التركيب الثنائي الطرفين للعلامة يصوره دوسوسير على الشكل الآتي :



أما العلامة اللغوية^(٢) Le Signe Linguistique ، فهي ارتباط بين الصورة الصوتية Image acoustique والمفهوم الذهني ، وبالتالي ، عكس ما يتبادر إلى خاطر ، فالدال اللغوي ، أي الصورة الصوتية ، هو على غرار المدلول أي المفهوم الذهني ، ذو طبيعة مجردة . فكلمة « انسان » مثلاً يمكن التلفظ بها مرات لا تحصى ، وبطرق صوتية مختلفة ، كما أنه يمكن كتابتها بخطوط متنوعة ، بخط كوفي أو فارسي أو تجاري الخ ... ، لكن كلمة « انسان » تبقى واحدة.

من وجهة نظر دوسوسير ، لا علاقة مباشرة للغة بالأشياء الخارجية ، فالمدلول هو صورة ذهنية تنتمي الى العلامة اللغوية ، وليس الى الشيء الواقعي Chose réelle الموجود خارج اللغة . هذه هي وجهة النظر التي أخذ بها البلاغيون العرب ، فيحيى بن حمزة يشرح ذلك بالتفصيل فيقول :

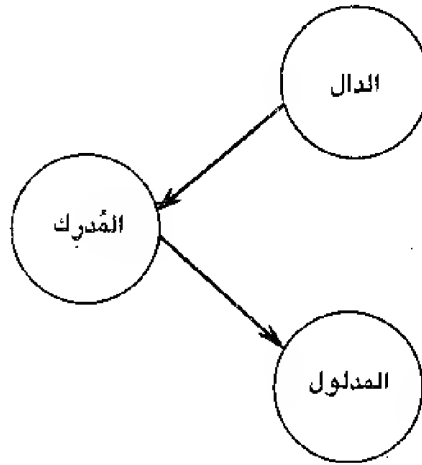
« الحقيقة في وضع الألفاظ إنما هو للدلالة على المعاني الذهنية

(١) المرجع نفسه ، ص ١٥٧ .

(٢) انظر المرجع نفسه ، ص ٩٨ .

دون الموجودات الخارجية . والبرهان على ما قلناه هو انا إذا رأينا شياً من بعيد وظنناه حجراً ، سميناه بهذا الاسم ، فإذا دتونا منه وظننا كونه شجراً ، فإننا نسميه بذلك ، فإذا ازداد التحقيق بكونه طائراً ، سميناه بذلك ، فإذا حصل التحقيق بكونه رجلاً سميناه به . فلا تزال الألقاب تختلف عليه باعتبار ما يُفهم منه من الصور الذهنية . فدل ذلك على أن اطلاق الألفاظ انما يكون باعتبار ما يحصل في الذهن . ولهذا فإنه يختلف باختلافه «^(١) .

أما منطقة العرب ، فإنهم يأخذون الدلالة بوجه اعم مما حدده دوسوسير للعلامة ، وذلك دون تخصيص لطبيعة المدلول . كما أنهم يدخلون الشخص المُدرك في اعتبارهم بصورة اكثر صراحة . فعندهم أن الدلالة هي « كَوْن الشيء بحالة » . يلزم من العلم به العلم بشيء آخر «^(٢) .



(١) كتاب الطراز ، الجزء الأول ، ص ٣٦ .
 (٢) التختاني ، شرح الشمسية ، ج ١ ، ص ١٧٤ .

أو بتفصيل أكثر ، كما نستخلص من شرح الأنصاري^(١) . فالدلالة تقوم على علاقة مزدوجة : من جهة بين الدال والمدلول ، ومن جهة أخرى بين هذين معاً وبين المدرك .

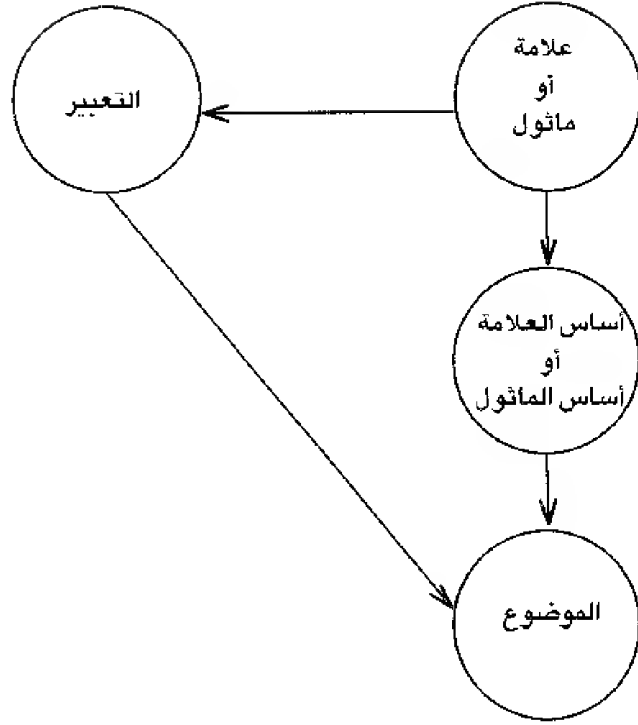
هذا التركيب الثلاثي للدلالة هو الذي ينطلق منه الفيلسوف الأميركي بيرس . فلكي يستخرج ويعين بصورة مفصلة ، المقومات التي تشكل العلامة ، يُعرّف العلامة Sign ، أو ما يسميه أيضاً «Representamen» أي « الماثول » و « المُستحضِر »^(٢) ، بأنها الشيء الذي يقوم لشخص ما مقام شيء آخر ، من حيثية ما^(٣) . وبالتالي ، كما يشرح المؤلف ، فالعلامة ، من جهة كونها تتوجه لشخص ما ، تُولّد في ذهنه علامة أو صورة مساوية للعلامة الأخرى ، أو ربما أكثر تطوراً منها . هذه العلامة الذهنية يطلق عليها بيرس اسم « التعبير » Interpretant ، ثم إن العلامة تقوم لشيء ما ، هو موضوعها Object ، ليس من كل الحثيات ، إنما بالنسبة إلى فكرة أو معنى Idea ، يسميه بيرس « أساس الماثول » أو « أساس المستحضِر »^(٤) The ground of the representamen . هذا ما يمكن أن نوجزه في الرسم البياني الآتي :

(١) شرح إيساغوجي ، ص ١١ .

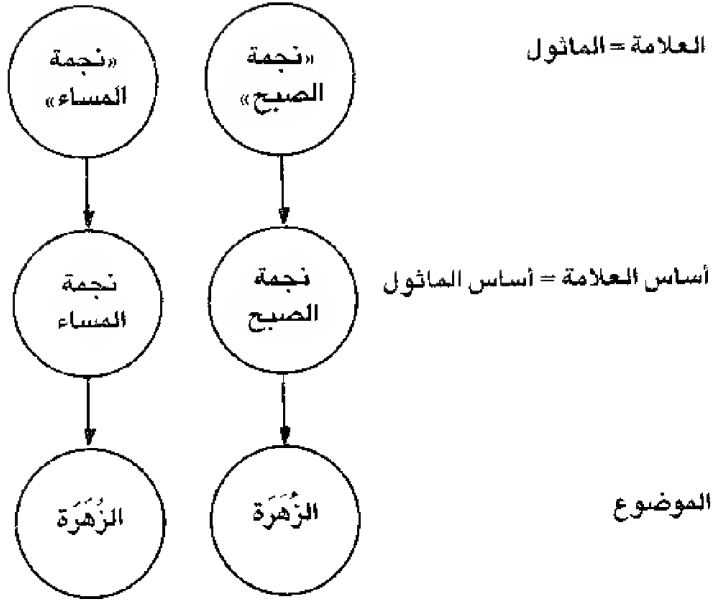
(٢) لأن العلامة تمثل الشيء وتستحضره .

(٣) Philosophical Writings of Peirce, p.99 .

(٤) الصفحة نفسها .

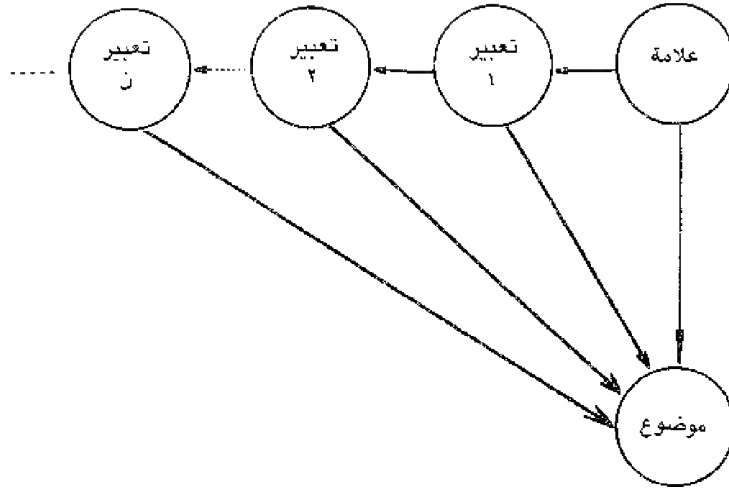


فهكذا مثلاً ، كلمة « ناطق » هي علامة ترجع الى الموضوع : الانسان ، ولكن من معنى مختلف عما تقصده الكلمة « ضحكك » التي ترجع الى الموضوع ذاته . فالناطقية تشكل هنا أساس العلامة ، أما التعبير عن العلامة « ناطق » ، فهو ما تبعته العلامة من الصور التي يتعين بها الموضوع . كذلك يمكن تطبيق المثل ، الذي أورده فريجه Frege ، على الفصل ما بين أساس العلامة والموضوع . فنجمة الصبح ونجمة المساء يدلان على معنى مختلف لموضوع خارجي واحد هو الزهرة .



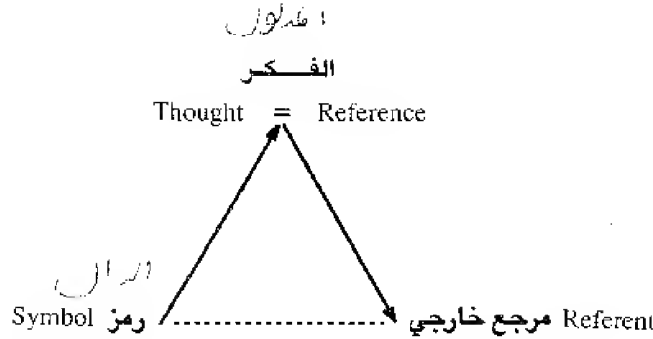
لا شك أن الموضوع لا يمكن أن يستنفذه تعبير واحد
interpretant ، بل إن كل تعبير يستدعي بدوره تعبيراً آخر يوضح
الموضوع . لذلك يضيف بيرس ، في اعادته لتعريف العلامة بأنها
« شيء يُسند ، من حيثية ما ، الى علامة اخرى ، هي موضوعه ،
بصورة تجعله يربط بهذا الموضوع شيئاً ثالثاً هو التعبير
interpretant عنه ، وهذا بدوره يربط بهذا الموضوع شيئاً رابعاً ،
وهكذا إلى ما لانهاية له »^(١) . هذا التعريف يمكن تمثيله على الشكل
الآتي :

(١) . Collected Papers, vol. II, Elements of logic, p.51.



من الصعب إيجاد تطابق تام بين التمييزات التي يقترحها بيرس ومثلث رتشارد - أجدن Richard-Ogden ، بالرغم من تأثرهما به . فالمؤلفان يُدخلان في الاعتبار بصورة مباشرة الشخص الذي يفسر الرمز ، ولذلك فالعلاقة بين الرمز والموضوع تتم عبر التفسير interpretation الذي يعطيه الشخص للرمز ، أي عبر ما يسمى عادة بالمعنى meaning . وبالتالي فالعلاقة الدلالية هي علاقة ثلاثية بين الرمز symbol وبين الفكر thought ، أو أيضاً ما يطلق عليه المؤلفان اسم الـ reference أي القصد^(١) ، وبين المرجع الخارجي referent ، وفقاً لهذا المثلث :

(١) لاحظ أن في اللغة العربية: غنى هو قصد ، والمعنى هو الصورة المقصودة قصداً .



استناداً إلى بيرس من جهة ، وإلى رتشارد وأجدين من جهة أخرى ، يميز مورس Charles W. Morris في كل عملية دلالة semiosis العوامل الآتية^(١) : حامل العلامة sign vehicle أي الشيء المادي الذي تتجسد فيه العلامة ، والمُعَبِّر interpreter أي المدرك ، والتعبير interpretant ، والحيثية المقصودة designatum أو أيضاً المعنى significatum ، والمدلول الخارجي الموافق له denotatum . إن مصطلح التعبير interpretant ، الذي نقله مورس عن بيرس ، يقابل بالمفهوم الأرسطي الفكرة أو التصور . لكن مورس ، معتمداً على سابقيه من الفلاسفة البرغماتيين ، ومستعيناً بالمذهب السلوكي في علم النفس ، يعطي لعملية الدلالة معنى مغايراً للمفهوم القديم^(٢) . فالمُعَبِّر هو الجهاز العضوي organisme أما التعبير فهو تهَيُّؤ disposition تثيره العلامة في الجهاز العضوي ، لأن يصدر عنه رد فعل ما عند حضور الموضوع المدلول . وعلى وجه التدقيق ، فشيء ما أ هو علامة « إذا كان ~~أ~~ عند غياب الموضوع المثير الذي يبعث على متتابعات من الاستجابات من نمط سلوكي

(١) راجع : Foundations of the theory of signs, pp.3-5

وأيضاً : Signs, language and behavior

(٢) راجع : Foundations of the theory of signs, pp 31-32.

معين ، مثيراً تحضيراً يؤكّد في جهاز عضوي ما تهيؤاً لأن يردّ ، عند توفر شروط معينة ، بمتتابعات من الاستجابات من النمط نفسه»^(١)، ففي مَثَل الكلب الذي تُقدّم له قطعة لحم بعد رن الجرس ، تكون العلامة هي صوت الجرس والمُعَبّر هو الكلب ، والتعبير هو تهيؤ الكلب لأن ينفعل بسلوك معين أمام الطعام ، والمدلول الخارجي denotatum هو قطعة اللحم ، والحيثية المقصودة significatum هي كون قطعة اللحم مأكولاً معيناً.

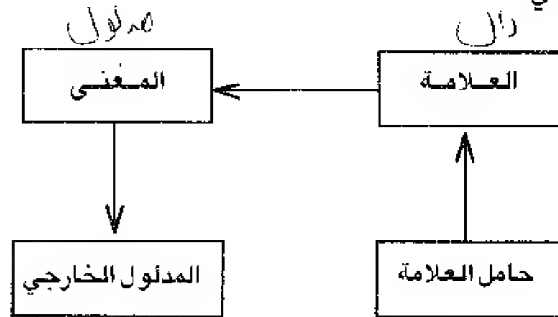
إن تحديد مورس للتعبير على أنه تهيؤ للاستجابة ، يحل الاشكالات الناجمة عن النظريات التي تعتبر أن المعنى هو الاستجابة المباشرة . فإذا كان المعنى ، كما يظن بلومفيلد Bloomfield ، هو السلوك الذي يتبع علامة ما ، فكيف يمكن تفسير أن جملة « تمطر السماء » مثلاً تثير ، بحسب الظروف ، إما الهزلة نحو ملجأ ، أو فتح مظلة ، أو ارتداء معطف أو لا شيء البتة . فهل هذا يعني أن جملة « تمطر السماء » تفيد معاني متعددة ؟ بالطبع لا . لذلك يعتبر مورس الجملة ، أو بوجه عام ، العلامة على أنها مثير تحضيري preparatory stimulus يؤثر في السلوك الذي تستدعيه المثيرات الأخرى ، أي أنها تؤثر في الاستجابة التي يقوم بها الجهاز العضوي أمام مثير آخر . فهكذا مثلاً ، بالرغم من أن إشارة السير التي تدل على أن المدينة المقصودة تقع عن شمال المفرق القادم ، إلا أنها لا تستدعي عند سائق السيارة رد فعل مباشر ، بل تشكل مثيراً تحضيراً ، لأنها تؤثر في السلوك الذي تستدعيه عند السائق رؤية المفترق .»

نستطيع من كل ما سبق أن نستخلص ونحدد ما يلي :

في كل عملية دلالة ، وبالأصطلاح في كل تسويم semiosis ،

(١) Signs, language, and behavior. p.10.

علاوة على الفرد الذي يستعمل العلامات نريد من جهة الدال ، التمييز بين ما يسمى « حامل العلامة » ، sign vehicle, Zeichenträger أو أيضاً عيّنه العلامة Zeichenexemplar ، وشكل العلامة Zeichengestalt أو بالاختصار العلامة Signe, Zeichen. إذ ، بينما حامل العلامة هو عينٌ مادي ، فالعلامة ، أي الدال signifiant بلغة دو سوسير ، هي صورة مجردة ، وبقول ماصدقي هي مجموعة كل حاملات العلامة أي مجموعة كل النماذج الحسية التي تجسد العلامة . ومن جهة المدلول ، نريد أن نأخذ بعين الاعتبار الصورة الذهنية المقصودة قصداً ، أي المعنى ، والشيء الخارجي الذي يرجع اليه المعنى ، أي المرجع أو المرجوع إليه. تجدر الإشارة الى أن هذه العوامل الدلالية ليست كذلك بحد ذاتها بل من جهة إضافة بعضها إلى بعض . فحامل العلامة لا يكتسب مفهومه الا لكونه يُوصل الى العلامة . وشيء ما لا يشكل علامة إلا من حيث كونه دالاً على شيء آخر بالنسبة لفرد ما . فيما يتصل بالحدود الأربعة التي أتينا على ذكرها تنعقد العلاقات على الوجه الآتي :



تبعاً للعوامل التي تدخل في تركيب عملية الدلالة ، والعلاقات القائمة ما بينها ، ينتزع مورس ثلاثة أبعاد أو مستويات :

علم المبني Syntactics ، وهو يبحث في العلاقة « عا » بين
العلامات « م ، م » ذاتها : عا (م ، م) . يُصنّف العلامات وفقاً
لخصائص معينة ، ويضع القواعد التي يتم بها تركيب العلامات
وتحويلها . ففي اللغة العربية مثلاً ، يتكون هذا العلم من الصرف
والنحو .

علم الدلالة Semantics ، وهو يدرس العلاقة ما بين العلامات
« م » ومدلولاتها « د » : عا (م ، د) . فيما أن المدلول قد يعتبر من
حيث كونه صورة ذهنية ، ومن حيث كونه الشيء الخارجي الموافق
لهذه الصورة يجب تفريع هذا المستوى العام الى علمين^(١) :

علم المعاني ، وهو بالتالي يبحث في العلاقة بين العلامات « م »
وبين المعاني « ن » : عا (م ، ن) .

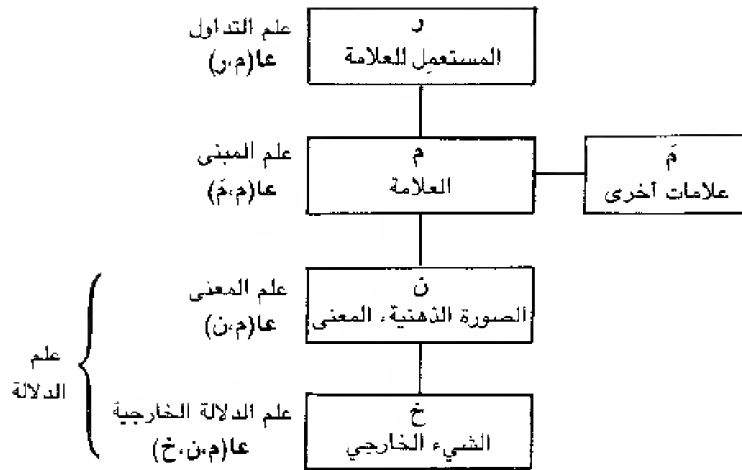
وعلم الدلالة الخارجية Sigmatics ، وهو يتناول العلاقة بين
العلامات « م » والأشياء الخارجية « خ » . لكن بما أن دلالة
العلامات على الأشياء الخارجية لا تتم الا عبر المعاني ، فهذه الدلالة
تشكل علاقة ثلاثية : عا (م ، ن ، خ) .

أخيراً ، فالمستوى الذي يبحث في العلاقة عا (م ، ر) بين
العلامات والمعبرين « ر » ، أي الأفراد الذين يستعملون العلامات
لغرض الاتصال ، يسمى بعلم التداول Pragmatics . وبوجه عام ،
يتناول هذا العلم ، كما يقول مورس ، « أصل العلامات واستعمالها
والمفعول المترتب عنها »^(٢) .

هذه التعريفات يجملها الجدول الآتي :

(١) راجع : Klaus G. Semiotik and Erkenntnistheorie, S. 67-77

(٢) Morris, Signs, language and behavior, p. 352.



ثمة إشكال حول المعنى عند بيرس ومورس ، يمكن الآن توضيحه على ضوء الشروح التي أتينا على ذكرها . فقد يبدو أن هناك عاملين من عوامل عملية الدلالة يوافقان « المعنى » بالاستعمال المتعارف : فمن جانب ما يسميه بيرس « أساس الماثول » The ground of the representamen وما يسميه مورس Significatum أي الحيثية المقصودة أو أيضاً ما يصح ترجمته كذلك بالمعنى* . ومن جانب آخر ما يطلق عليه المؤلفان اسم « التعبير » interpretant الذي يقابله مورس ، كما سبقت الإشارة الى ذلك ، بالفكر Thought أو التصور Concept عند أرسطو . فالعامل الأول هو الذي يقع تحت باب علم المعنى الذي تواضعنا عليه ، أما الثاني أي التعبير ، فيدرجه مورس تحت علم التداول لأنه رد الفعل الناجم عن المُعَبِّر عند ادراكه المعنى Significatum ، ولا شك أن كون الاثنين متضايفين، هو سبب الاشكال . وخلافاً لما يوحيه قول مورس ، كان التمييز ما بين المعنى والتعبير معروفاً عند القدماء لكن بتعابير مثالية بعيدة كل

البعد عن مفهومه السلوكي . فما يسمونه بالكلبي العقلي ليس سوى فعل التصور الحاصل في الذهن ، ويقابله الكلبي الطبيعي أي الأساس الموضوعي الذي يتناوله فعل التصور .

٢ - أقسام العلامة

إن أول تقسيم شامل للعلامة في إطار علم دلالي مستقل ، هو من عمل المتأخرين من مفكري العرب . ولا شك أن الفارابي وابن سينا وغيرهما من الفلاسفة المسلمين قد استوحوا هذا التقسيم من أفلاطون وأرسطو والفلاسفة الميغاريين والرواقيين . وكان يرد عندهم بمثابة مقدمة عامة للمنطق ، وينحصر في الدلالة اللفظية فقط . إلا أن المناطق في القرن الثالث عشر استفادوا ، بالإضافة إلى تميزات الفلاسفة السابقين ، من أبحاث اللغويين والأصوليين وعلماء الكلام ، فتوصلوا إلى تعميم الأقسام على كل أنواع الدال . يقسم المفكرون العرب الدلالة إلى ثلاثة أقسام . العقلية والوضعية والطبيعية . فالدلالة العقلية عندهم هي التي يكون فيها بين الدال والمدلول علاقة ذاتية . ويفهمون بالعلاقة الذاتية استلزام تحقق الدال تحقق المدلول ؛ كما في العلاقة الحاصلة بين المعلول والعلة ، ومثالها كون الدخان علامة على النار . أو العكس : مثل كون النار علامة على الحرارة ؛ أو أيضاً في العلاقة القائمة بين معلولين لعة واحدة ، مثل كون الدخان علامة على الحرارة إذ كلاهما معلول للنار .

أما الدلالة الطبيعية فهي ، وفقاً لتعريفهم ، ما يكون بحسب مقتضى الطبع . ويستفاد من شروحاتهم أن الطبع قد يرجع إلى المدرك ، ويكون بالتالي معنى هذه الدلالة أن من طبع المدرك أن ينتقل تلقائياً من الدال إلى المدلول ؛ أو أن صفة « الطبيعية » قد ترجع إلى الدال ، فيكون من طبيعة الدال أن يؤدي إلى المدلول .

لكن بالرغم من هذه الشروحات الشاملة ، فإنهم يقصرون أمثلتهم في هذا المجال على العوارض البدنية الدالة على حالات بدنية أخرى أو على حالات نفسية ، كدلالة « أحم أحم » على السعال والحمرة على الخجل وقوة حركة النبض على قوة المزاج.

بمجرد المقارنة بين أمثلة هذا القسم من الدلالة وأمثلة الدلالة العقلية ، يبدو أن التمييز بين القسمين المذكورين لا يتركز على أساس ، إذ أن العلاقة الطبيعية تعود بالنهاية إلى علاقة ما بين أثر ومؤثر وبين معلول وعلة ؛ وهذا دون شك صحيح إذا لم يؤخذ بعين الاعتبار سوى مقياس العلية البحتة. لكن ، مع اختلاف وجهات النظر الفلسفية التي تُتناول بها العلاقة في كلتا الحالتين ، لا يمكن إنكار أن الدلالة الطبيعية ، لكونها تعتمد على تجربة باطنية ذاتية ، وخصوصاً في العلاقة بين الجسد والنفس ، لا تستدعي على الأقل العمل الفكري المطلوب في الدلالة العقلية المعتمدة على الإدراك الخارجي ، بل كأنما الانتقال من الدال إلى المدلول يحصل بصورة عفوية مباشرة.

أما القسم الأخير أي الدلالة الوضعية فهي تلك التي يحصل فيها الانتقال من الدال إلى المدلول ، لا لعلاقة عليّة بين الاثنين ولا لطبيعة الدال ، بل بسبب قاعدة متفق عليها ، سيان كانت هذه القاعدة الدلالية من وضع الفرد أو من وضع الجماعة . من هذا القبيل دلالة الألفاظ على المعاني .

إن تحقق علاقة ما من العلاقات الثلاث بين الدال والمدلول لا ينفي تحقق إحدى العلاقات الباقيتين ، بل بحسب التعريفات المذكورة ، تستلزم كل علاقة طبيعية علاقة عقلية ، لأن إحداث الطبيعة عروض الدال عند عروض المدلول إنما يكون علاقة للدلالة الطبيعية ، باعتبار استلزام تحقق الدال تحقق المدلول على وجه مخصوص . وقد تجتمع الدلالات الثلاث باعتبار العلاقات الثلاث ،

كما في لفظة « أُنْج » السعال .

بالرغم مما في هذا التقسيم من إيهام وخلل ، إلا أنه بوجه عام يقترب من التقسيم المعمول به حديثاً في علم السيمياء ، والذي وضعه بيرس Peirce بالنسبة إلى علاقة العلامة بموضوعها . فعلى هذا الصعيد يميز بيرس كذلك بين ثلاثة أنواع من العلامات : الأيقونة icon والدليل أو الشاهد index والرمز symbol .

تقوم الأيقونة على شبه فعلي بينها وبين مدلولها ، من كل الجهات أو بعضها . فالصور الفوتوغرافية والرسوم والخرائط الجغرافية هي أمثال هذا الصنف من العلامة . وكذلك قد توجد الدلالة الأيقونية في الألفاظ ، فلفظ « كيكي كيكي » مثلاً في اللغة العربية تقليد لصياح الديك . لكن على المستوى اللفظي ، لا تتحقق هذه الدلالة بتطابق كلي بل جزئي فقط ، يشهد على ذلك اختلاف الدالات باختلاف اللغات . فمع أنه يوجد شبه بين الألفاظ « كيكي كيكي » بالعربية و « cuckoo » بالإنكليزية و « cocorico » بالفرنسية و « Kikenki » بالألمانية ، هناك غير فارق في الرسم الصوتي لصياح الديك . قد يمتد مجال المقارنة في الألفاظ المحاكية للمدلولات الخارجية بين لغات متنوعة من شبه تام تقريباً كما بين لفظتي « شنخر » العربية و « schnachern » الألمانية ، إلى الاختلاف الكلي كما بين كلمة « عواء » والمرادف الفرنسي لها « aboiement » . ويعود ذلك إلى أن التصوير بالكلمات مقيد في كل لغة بلائحة الأصوات وطريقة مزجها . فاللغات الطبيعية لا تستعمل كل الأصوات اللفظية ولا تجيز كل التقاليب الممكنة ، بل تنفرد كل لغة بعدد معين من تلك الأصوات وبقواعد محددة لتركيب الكلمات منها . وهذا التركيب ، بالإضافة إلى أنه يحدد امكانية المزج بين الحروف ، يجري بتسلسل زمني واحد يأبى التعدد الصوتي الواقع أحياناً في المدلولات الخارجية .

بالطبع ، في بعض الأنواع الايقونية قد تقترب العلامة كثيراً من مدلولها ، كما في النحت والرسم الخ ... ، لكن حتى في هذا المجال ، لا تتحرر الدلالة تماماً من شروط الإدراك الحسي ، ومن كودة^(١) code الإيصال المعمول بها . فهكذا مثلاً ، مازال يُستعمل في التصوير منذ عصر النهضة ، التدرج في الأحجام للدلالة على العمق ، بينما في القرون الوسطى ، فإن هذا التدرج يشير إلى مكانة الشخص المُمَثَّل : فبقدر ما كان رسم الشخص كبيراً كانت مكانته رفيعة . كذلك كان الفنان في عصر النهضة يرسم الصفات التي يراها ، أما الفنان التكعبي فيضع الصفات الحاضرة في ذهنه عن الشيء ، حتى وإن استجالت رؤيتها معاً من زاوية بصرية معينة^(٢) .

ضمن مفهوم الايقونة يذكر بيرس ثلاثة أصناف : الصورة image وهي تشارك المدلول بالصفات البسيطة ، والتمثيل البياني diagram الذي يشبهه بالترتيب العلائقي ، وأخيراً الاستعارة .metaphor

أما القسم الثاني من أقسام العلامة أي الشاهد أو الدليل (σημα ، انكليزي index ، فرنسي indice) فببِرس يعرفه « بالاتصال الدينامي (وضمنه المكاني) مع الموضوع العيني من جهة ، ومع حواس أو ذاكرة الشخص .. من جهة أخرى »^(٣) . وهو يأخذ الشاهد بمعنى عام جداً يشمل كل علامة تقوم بينها وبين موضوعها مجاورة فعلية واقعية . هذه المجاورة قد تمتد من العلية إلى مجرد الاتفاق ، فهكذا مثلاً الدخان شاهد على النار والصراخ

(١) بإزاء الكلمات الفرنسية codification, codifier, code بالعبارة : كُودَة ، كُود ، تكويد ، وإما أيضاً بـ : دُستور ، دُستُر ، دُسترة .

(٢) انظر : Eco. U. La Struttura assente, p. 207

(٣) انظر : Philosophical Writings, p. 107

دليل على الوجع والتصبيغ شاهد على الشيء المصبغ عليه وكذلك
أسماء الإشارة « هذا ، هذه ، الخ ... » .
تحت هذا المفهوم العام يندرج كثير من أصناف العلامات
الشائعة في بعض اللغات ، منها :
ما يسمى بالفرنسية index^(١) ، وما يمكن أن نطلق عليه بالعربية
اسم « القرينة » . فالقرينة تنحصر في العلامات التي بينها وبين
مدلولاتها مجرد جوار أو تلاصق .
العارض symptôme ، وهو علامة مَرَضِيَّة ترتبط بمدلولها
ارتباطاً طبيعياً .

الإشارة signal ، وهي تتميز بقصدية الايصال ، مثل أضواء
السير وصفارة انطلاق السبق الخ...
القسم الأخير من ثلاثية بيرس يسمى « الرمز » symbol .
ويقوم الرمز ، كما في تفسير ياكوبسن^(٢) لنظرية الفيلسوف
الأميركي ، على المجاورة المتواضع عليها contiguïté instituée بينه
وبين المدلول ، والمكتسبة بالتعلم . لذلك لا يحصل الرمز إلا بقاعدة
تحدد علاقة المجاورة ، وهو لا يستلزم أدنى شبه أو علّية أو اتصال
خارجي مع المدلول . من هذا القبيل العلامات اللغوية .
بالطبع ، إن تعريف الرمز بهذا الشكل يخرج عن الاستعمال
المتعارف عليه في الآداب والفنون ، لكن بيرس يبرر هذا الخروج
بالعودة إلى المعنى الأصلي لكلمة symbol . ففي اليونانية كانت
σύμβολον تعني الشيء الذي يُلقى أو يُرمى βολον مع σύμ ،
وبالتالي كانت تعني عن طريق الاستعارة العقد أو الاتفاق . بهذا
المعنى كان أرسطو يقول عن الاسم أنه رمز σύμβολον أي علامة

(١) لا يوجد في الإنكليزية مقابل index و indice الفرنسيين سوى كلمة واحدة هي
index .

(٢) أنظر : Problèmes du langage, p.27.

وضعية . أما الرمز بالمفهوم الشائع ، فيجب إدراجه عند بيرس تحت قسم الأيقونة ، إذ أنه يفترض شبيهاً ما بينه وبين المدلول .

إن نظرة سريعة على كل من التقسيمين للعلامة عند العرب وبيرس قد توحى بهذه المقارنة :

دلالة طبيعية	دلالة عقلية	دلالة وضعية
إيقونة	شاهد	رمز

لكن استقصاء البحث في كل من التعريفات والأمثلة الواردة في النظريتين ينفي التطابق المقترح . فمن بعض التفسيرات ، التي مررنا عليها ، للدلالة الطبيعية ، يمكن الوقوع على تلاؤم بينها وبين الأيقونة ، إنما الأمثلة التي يوردها المؤلفون العرب في مجال الدلالة الطبيعية كالعوارض والامارات الدالة على الحالة النفسية ، تنتمي عند بيرس ، في الدرجة الأولى ، إلى الشاهد index . كما أن الدلالة العقلية أخص من الشاهد ، إذ أنها تنحصر في علاقة السببية ، بينما الشاهد يعم كثيراً من العلاقات التي يعدها العرب من باب الدلالة الوضعية .

لاشك أن إمكانية تداخل هذه الأقسام في علامة واحدة وعدم غلبة أحدها على الآخرتين أحياناً هما من أسباب تصنيف بعض العلامات إلى قسمين مختلفين عند العرب وعند بيرس ، لكن مع ذلك ، تبقى النظريتان مختلفتين من حيث الكنه .

II

التيار اللساني

ننـ إلى جانب بيرس Peirce ، يُعتبر دو سوسير De Saussure من مؤسسي علم السيميائـ . ففي مجموعته التي طُبعت نقلاً عن طلابه باسم « محاضرات في اللسانية العامة » ، كان غرضه ، كما هو معروف ، البحث في علم اللسانية على أسس بنيوية ، ولم يكن يهدف مباشرة إلى إقامة علم السيميائـ . لكنه ، عندما حاول إيجاد موقع لعلم اللسانية بين سائر العلوم ، قادته المقارنة بين اللغة وأنساق العلامات الأخرى ، مثل أبجدية اليكم والاشارات العسكرية والطقوس الرمزية وطرق الآداب الخ ... ، إلى « تصور علم يبحث في حياة العلامات ضمن الحياة الاجتماعية ، ويشكل جزءاً من علم النفس الاجتماعي ، وبالتالي من علم النفس »^(١) . هذا العلم ، يقول دو سوسير ، « سوف نطلق عليه اسم السيميولوجيا (من اليونانية semeion أي علامة) ، فهو سيعلمنا ما هو قوام العلامات وما هي القوانين التي تحكمها . لكن بما أنه لا يزال غير حاصل فإننا لا نعرف ماذا سوف يكون . إنما له الحق في الوجود ومكانه محدود مسبقاً . أما اللسانية فليست سوى جزء من هذا العلم العام ، وعليه فالقوانين

(١) Cours de linguistique générale, p. 33

التي تكتشفها السيميولوجيا يمكن تطبيقها على اللسانية ، وهكذا تكون هذه الأخيرة قد وجدت ارتباطها بمجال معين بين مجموعة الوقائع الانسانية «^(١)».

أذن ، بالرغم من أن دوسوسير لم يبين علم السيميولوجيا المرتجى ، إلا أن بعض المفاهيم والتمييزات الأساسية التي وضعها لعلم اللسان ، وعلى الأخص مفهوم العلامة اللفظية ، جرى تطبيقها من قبل أتباعه ، لكون اللغة النسق الأكثر تعقيداً وشيوعاً ، على مجالات أخرى من العلامات^(٢) .

١ - تعريف العلامة

ينطلق دوسوسير ، في تعريفه للعلامة اللفظية ، من نقد التصور الزاعم بأن اللغة ليست سوى لائحة من المفردات المقابلة لعدد مماثل من الأشياء .

« فالعلامة اللفظية لا تربط بين الشيء والاسم ، بل بين المفهوم والصورة السمعية image acoustique . وهذه الصورة ليست صوتاً مادياً ، أي شيئاً فيزيائياً بحتاً ، بل هي الأثر النفسي لهذا الصوت ، أي التمثل الذي تمنحنا إياه شهادة حواسنا لهذا الصوت »^(٣).

يتضح من هذا أن دوسوسير يعتمد على التمييز بين مستويين : النفسي psychique والمادي matériel . فعلى المستوى النفسي يكون حصول الصورة السمعية والمفهوم ، أما على المستوى المادي فيوجد الصوت المادي والشيء chose الخارجي ،

(١) المرجع ذاته ، الصفحة ذاتها .

(٢) المرجع ذاته ، الصفحة ١٠١ .

(٣) المرجع ذاته ، الصفحة ٩٨ .

أي ما يُعرف حالياً باسم « المرجع » أو « المرجوع إليه »
: référent

المستوى النفسي : الصورة السمعية ————— المفهوم
المستوى المادي : الصوت المادي ————— الشيء (الخارجي)

وبالتالي ، وفقاً لدو سوسير ، تختص العلامة باقتران حدي
المستوى النفسي ، أي الصورة السمعية والمفهوم . وهذا الاقتران
انما يحصل بشكل يستحيل معه تحقق أحد الحدين دون الآخر .
فالامر الوحيد المتحقق بالفعل entité concrète هو العلامة ، وما
اعتبار كل حدّ على حدة سوى تجريد محض . إذن ، العلامة اللفظية
هي « أمر نفساني ذو وجهين »^(١) :

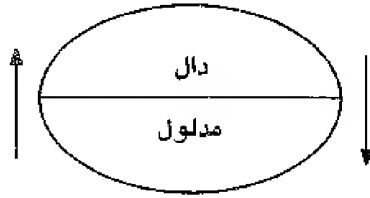


فهي ، حسب تشبيه دو سوسير لها ، كالورقة التي لا يمكن تمزيق
أحدى صفحتيها دون إتلاف الأخرى .

تجنباً للإشكالات الناجمة عن إطلاق البعض اسم « العلامة »
على الصورة الصوتية ، يقترح دو سوسير أن يسمى كلاً من الحدين
بكلمات متضايقة . وهكذا يستبدل مصطلح « الصورة الصوتية »
بـ « الدالّ » signifiant ، ومصطلح « المفهوم » بـ « المدلول »
signifié . لا ريب أن معنيي « الدال » و « المدلول » ، هما على وجه

(١) المرجع ذاته ، ص ٩٩

من العموم يُتيح تطبيقهما ليس على الألفاظ ، أي العلامات اللغوية ، فحسب ، بل على سائر العلامات . وعليه ، من وجهة نظر دوسوسير ، يصبح تعريف العلامة ، أية علامة على الإطلاق ، بأنها اقتران بين الدال والمدلول على النحو الذي سبق ذكره :



في « محاضراته في اللسانية العامة » ، يقتصر المؤلف على العلامات اللغوية ، أي الألفاظ ويرى فيها ، بالإضافة إلى خصائص التعريف العام ، هاتين الميزتين : فمن ناحية ، تبدو العلامة اللغوية علامة اتفاقية أو اختيارية arbitraire ، ومن ناحية أخرى هي خطية linéaire . فكون العلامة اتفاقية أو اختيارية لا يُراد به ، كما يحتمل معنى الكلمة الفرنسية « arbitraire » ، أن الربط بين الدال والمدلول رهن إرادة الفرد ، بل المقصود أن العلاقة بين طرفي العلامة علاقة لا تجد لها مبرراً immotivé في الطرفين ، كما هي الحال في الإيماء pantomime ، بل تنجم عن عادة جماعية habitude collective^(١) . فمن الواضح مثلاً أنه ليس بين معنى كلمة « باب » ولفظها من علاقة داخلية ، إذ أن المعنى نفسه يؤدي عند جماعات أخرى بـ « door » و « porte » الخ . أما الميزة الثانية فتعود إلى العلامة اللغوية ، لأن الدال فيها يتصف ، من حيث هو تعاقب ألفاظ ، بكونه زمنياً ، أي ممتداً على بعد واحد . وهذا ما يظهر مباشرة حين تمثيل الدال بالكتابة .

(١) المرجع ذاته ، ص ١٠٠ .

مما سبق نستخلص ما يلي : ثمة أربعة أمور يجب التمييز فيما بينها ، وهي : الصورة السمعية ، المفهوم ، الصوت المادي ، الشيء الخارجي . أما العلامة فتلتئم فقط من الصورة السمعية والمفهوم concept (أي التصور) ، الذي هو أيضاً صورة ذهنية . وبالتالي فالعلامة ، كما يعبر عن ذلك دوسوسير ، صورة بحتة وليست جوهر substance ♣

٢ - العبارة والمضمون

استناداً إلى طروحات دوسوسير ، ينطلق العالم اللساني الدانماركي هيلمسلاف Hjelmslev بوجه عام من مستويين للغة : مستوى العبارة ومستوى المضمون . وبما أن كل لغة تنفرد عن غيرها على كل من المستويين ، من جهة بالأصوات التي تختارها لإفادة المعنى ، ومن جهة أخرى بطريقة تركيب الألفاظ التي تؤدي بها المعنى ، لذلك يميز هيلمسلاف ، بالنسبة لكل مستوى ، بين الجوهر substance وبين الصورة (أو الشكل) Forme .
فهكذا نستطيع على مستوى المضمون مثلاً ، أن نتحقق أن المسلسلات التالية من عدة لغات (١) :

لست أعرف	(عربي)
I do not know	(انكليزي)
Je ne sais pas	(فرنسي)
naluvara	(اسكيمو)

تتشترك في مقصود معين واحد ، بالرغم من الاختلاف في التراكييب (إذ أن النقي يؤدي باللغة العربية بفعل ناقص ، بينما

(١) انظر : Prolégomènes à une théorie du langage, p.69.

بالانكليزية بحرف not مسنداً إلى الفعل do ، وبالفرنسية بحرفين ne... pas (الخ...) . هذا المقصود المشترك يطلق عليه هيلمسلاف اسم « المادة » أو « المعنى » (دانمركي : Mening ، انكليزي : purport) .

وكذلك إذا قارنا من حيث التقطيع بين لغات مختلفة ، مثلاً بين^(١) :

عربي	فرنسي	الماني	دانمركي
شجرة	arbre	Baum	trae
خشب	bois	Holz	
حش	forêt	wald	skov
غابة			

نجد أن كل لغة تنفرد عن الأخرى في كيفية فرزها للمنطقة الدلالية المقصودة ذاتها . فالمادة غير المتعينة واحدة أما الصور والأشكال التي تتعاقب عليها فمختلفة .

وكذلك ، بالنسبة لمستوى العبارة ، نجد التمييز نفسه . فكل لغة تختار من المنطقة الصوتية الحروف المناسبة لها ولا تقبل إلا بعضاً من التنويعات الممكنة لهذه الحروف . هكذا مثلاً ، إذا قابلنا بين تقطيع المجال المتصل للحروف الصائتة voyelle في اللغة العربية وبعض اللغات الأخرى ، نلاحظ أن العربية لا تقصّل في هذا المجال إلا بين ثلاثة حروف ، بينما تلك اللغات تقر بخمسة أو أكثر :

(١) انظر : المرجع ذاته ، ص ٧٢

َ	ِ	ُ
a	i e	u o

إذن كل مستوى من مستويي العبارة والمضمون يفترض من ناحية صورة أو شكلاً ومن ناحية ثانية مادة أو معنى . فالمادة بحد ذاتها ، أي بالاستقلال عن أي استعمال لغوي ، هي مبهمة غير متعينة ، ولا يمكن أن توجد إلا متلبسة بصورة ما ، حالها حال غيمة أو قبضة من الرمل ، تتعاقب عليهما أشكال عديدة ، مع استحالة وجودهما دون الشكل^(١) . فالمادة حين تلبسها بالصورة يطلق عليها هيلمسلاف اسم الجوهر substance ، ويقول آخر ليس الجوهر سوى تجلي المادة في الصورة.

من الواضح أن ما يهم مستويي العبارة والمضمون هو الصورة والجوهر ، إذ أن المادة تقع خارج أي استعمال لغوي . من هنا التمييز بين أربعة علوم ، يبحث كل منها في قسم من أحد المستويين . فجوهر العبارة ، وهو واحد بالنسبة لكل اللغات ، هو موضوع الفونيطيقا phonetics, phonetique : أما صورة العبارة التي تكون نسقاً خاصاً بكل لغة على حدة فيبحث فيها علم الفونولوجيا أو علم اللفظيات phonemics phonologie . وبالنسبة للمضمون ، فصورته هي موضوع علم المبني grammare الخاص بلغة ما ، أما جوهره فيختص به علم المعنى :

(١) انظر : المرجع ذاته ، ص ٧٠ .

مستوى العبارة		مستوى المضمون	
جوهر العبارة	صورة العبارة	صورة المضمون	جوهر المضمون
الفونيطيقا	الفونولوجيا	علم المبنى	علم المعنى

اللسانية

بالنسبة لمدرسة كوينهاغن ، لا يتضمن علم اللسان بالمعنى الحضري ، من كل واحد من المستويين ، سوى الصورة . إذ أن هيلمسلاف ، على غرار دوسوسير ، يفهم اللغة بأنها صورة مميزة مرتبة بين جوهرين : جوهر العبارة ، وجوهر المضمون .

٣ - الدلالة الأصلية والدلالة التبعية dénotation et connotation

التقابل بين الدالتين : الأصلية والتبعية ، أصبح شائعاً مع رولان بارت في كتابه « مبادئ السيمياء » . ولقد استقى بارت هذه الدلالات عن هيلمسلاف . فالألسني الدانماركي ، استناداً إلى الفصل بين مستوى العبارة ومستوى المضمون ، يميز بصورة عامة بين ثلاثة أنواع من اللغات أو السيميئات^(١) : sémiotiques . فالسيمياء الدالة دلالة أصلية هي التي لا يكون أي واحد من مستوييها سيميائية بحد ذاته ، كما هي حال اللغات في استعمالها العادي حين تصف العالم الخارجي . ويجري تمثيلها على النحو الآتي :

(١) انظر : Prolégomènes à une théorie du langage. pp 144 ...

دال
مدلول

تبقى امكانيتان بالإضافة الى مستويي السيمياء من حيث التركيب : فإما أن يشكل المدلول بدوره سيمياء ، ويكون بالتالي مركباً من دال ومدلول ، وفقاً لهذا التمثيل :

دال
دال / مدلول
دال
مدلول

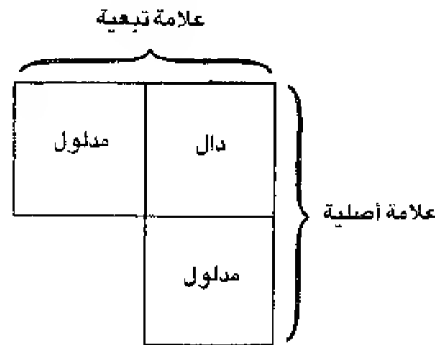
وإما أن يكون تركيب الدال على النمط المذكور ، أي هكذا :

دال / مدلول
مدلول
دال
مدلول

فالإمكانية الأولى تسمى « سيميائية ما وراثية أو فوقية أو أيضاً من الدرجة الثانية *métasémiotique* » ، إذ هي سيميائية تتكلم عن سيميائية . مثال ذلك علم النحو الذي يتناول بالبحث لغة ما .

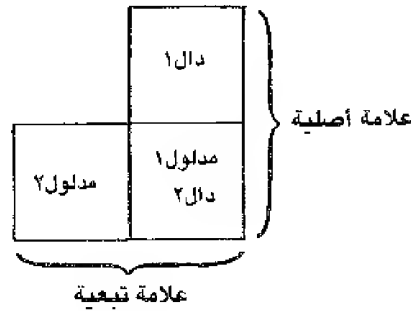
أما الإمكانية الثانية فهي ما يسميها هيلمسلاف بالسيميائية أو اللغة ذات الدلالة التبعية *sémiotique connotative* . هذا النوع من السيميائية ، بمفهوم الألسني الدانمركي ، ينطوي على ظواهر مختلفة تتعلق بشكل ما بمستويات اللغة . من هذا القبيل ، مثلاً ، دلالة اللحن على الاستفهام أو التعجب أو الشك الخ ... ، ودلالة التركيب على أن القول هو شعر أو نثر ، ودلالة الأسلوب على كونه ابداعياً أو تقليدياً أو سوقياً ، ودلالة اللهجة على كون المتكلم لبنانياً أو مصرياً ، مدنياً أو ريفياً الخ

إن حشر كل هذه الظواهر تحت عنوان اللغة التبعية ، كما ورد تعريفها ، لا يخلو من الخلط والالتباس ، فبعض العلامات المذكورة في هذا المجال لا تقتزن باللغة الشيئية *langue-objet* ككل ، بل هي تقتزن بدال هذه اللغة فقط على هذا النحو :



ومثاله دلالة اللفظ الحلقي للجيم على كون المتكلم مصرياً .
كذلك ، لا نسلم أن الكنايات المعهودة تندرج تحت التعريف

المذكور للغات التبعية ، ففي قولنا مثلاً « فلان سميك النظارات » كنايةً عن أنه مثقف ، يرتبط المدلول « مثقف » بالمضمون « سميك النظارات » ، وليس هو بالعلامة المركبة من العبارة والمضمون معاً ، على ما يظهر في التمثيل الآتي :



إذ أنه ، في الواقع الخارجي المستقل عن اللغة اللفظية ، قد تتحقق العلامة الثانية دون الأولى . بل أكثر من هذا ، فإن بعض الأمثلة التي ترد في هذا المجال لا ترتبط بأحد طرفي العلامة من حيث هي اتحاد صورة العبارة مع صورة المضمون ، بل بأحد جوهرية المضمون والعبارة . فالتوتر مثلاً في صوت المتكلم ، الذي يشير إلى كونه فرحاً ، هو من خصائص الفونيطيقا وليس من خصائص الفونولوجيا .

عادة ، في المؤلفات التي تتناول السيمياء ، يُهمل من الدلالة التبعية الجانب التداولي pragmatique للعلامة . حيث يكون دورها مجرد شاهد index على المتكلم وعلى حاله ونوعية لغته أو لهجته الخ ... ، ويقتصر دور الدلالة المذكورة على العلاقة القسائمة على مستوى المعاني والمراجع الخارجية référent فقط ؛ بهذا المفهوم تشتمل الدلالة التبعية دون شك على العلاقات التي تتحقق في

المجازات من شبه وعموم ومجاورة وسببية ولزوم الخ ... ولا خلاف بينها وبين المجازات سوى أن المدلول الأصلي هو أيضاً مراد ومقصود فيها مع المدلول التبعي.

لكن ، بالرغم من هذا الحصر للدلالة التبعية ضمن المفهوم الأخير ، يبقى مجالها واسعاً بشكل عام جداً حتى أنها أحياناً تتساوى عند البعض مع مفهوم تداعي المعاني association d'idées . ثمة اقتراحات لضبطها أكثر . فبالامكان اعتماد معيار كميّ مثل درجة العرف convention وشدة التداعي^(١) . وعليه ، تكون مثلاً دلالة قارورة الزجاج على النهدي من باب التداعيات لاقتصارها على مخيلة فرد واحد ؛ بينما يكون اقتران الشيوخوخة بالشيب من الدلالة التبعية ، لكثرة شيوخها .

٤ - تصنيف الانساق السيميائية

لقد تبين لأندرية مارتينه A.Martinet أن الألسن الطبيعية تمتلك خاصية تميزها عما سواها من وسائل الاتصال ، وهي خاصية أطلق عليها اسم التَمَفُّصْل أو التقطيع المزدوج la double articulation . ويعني هذا العالم الألسني بذلك أن الألسن الطبيعية تتَمَفَّقَصَل مرتين : ففي التَمَفِّصْل الأول ، تلتئم العبارة اللغوية من وحدات دلالية بسيطة هي الكُليمات (= مونيمات monèmes ، أو أيضاً مورفيمات morphèmes) . فهكذا مثلاً في الجملة « الولد في الحقل » ، نقع على خمس كُليمات هي : ال - ولد - في - ال - حقل . بينما في التَمَفِّصْل الثاني يرجع تقطيع دال الوحدة الدلالية ذاتها إلى وحدات أولية غير دالة تُسمى « الفونيمات phonèmes » ، وظيفتها التمييز بين الكليمات . فلفظة « حقل » تحتوي على أربع

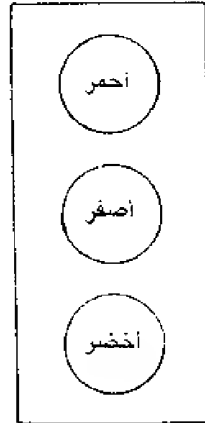
(١) انظر : Kloepper, R., Poetik und Linguistik, s.91

فونيمات هي : ح / ت / ق / ل .
 من هنا اعتمد التمثيل معياراً أساسياً لتصنيف الانساق
 السيميائية^(١) :

الصف الأول : يحتوي على وحدات دلالية^(٢) يستحيل تقطيعها
 ككل إلى عدة علامات ، ويستحيل كذلك تقطيع دالها إلى عدة مركبات
 بسيطة ، أي إلى ما يسمى بالأشكال Figures . هذا ما يمكن تمثيله
 على النحو الآتي :

دال ٣	دال ٢	دال ١
مدلول ٣	مدلول ٢	مدلول ١

مثال ذلك نسق أضواء السير عند تقاطع الطرق ، فهو يتركب عادة من
 ثلاث وحدات دلالية لا تجتمع أبداً ، ولا يمكن تقسيم دال كل منها
 إلى أشكال أكثر بساطة :



(١) انظر : J. Martinet, La sémiologie, pp. 113-115, 157-159 .
 (٢) يسمي أريك بويسانس Buyssens ولوي بريانو Prieto على كلمة « sème » .

فالضوء الأحمر يشير إلى منع المرور ، والضوء الأخضر إلى السماح به ، بينما الضوء الأصفر يدل على المرحلة الانتقالية . كذلك يعود إلى هذا الصنف الاتصال الحيواني عامة وبعض أنساق الحركات *gestes* .

الصنف الثاني : يقوم من وحدات دلالية قابلة للانقسام إلى علامات بسيطة ، كل علامة منها يمكن أن تدخل في تركيب وحدات دلالية مختلفة ، وفقاً للنمط التالي ، حيث « د » هو مختصر « الدال » و « م » « المدلول » .

د٤	د٥	د٦
م٤	م٥	م٦

د١	د٢	د٣	د٤
م١	م٢	م٣	م٤

من وحدات هذا الصنف لافتات السير ، التي يمكن تحليل كل واحدة منها إلى عدة علامات ، كل علامة قد ترد في أكثر من لافتة . فكذا مثلاً تشترك هاتان اللافتتان :



بالحلقة الحمراء الدالة على منع المرور ، وتختلفان بعلامتي

- ١ سيم « للدلالة على الوحدة الدلالية ، أي العلامة بوجه عام مركبة كانت أم بسيطة ،
٢ بينما يقصران استعمال « علامة Signe » على الوحدة الدلالية غير القابلة للانقسام ،
٣ أي العلامة البسيطة . من البديهي أن هذا الاستعمال لكلمة « sème » يختلف عما هو
٤ شائع بعد غريماس في علم المعاني . إذ بمفهوم هذا الأخير ، السيمات هي المركبات
٥ البسيطة التي يتألف منها المدلول ، أي ما يقابل مقومات المعنى *semantical*
Constituent في اللسانية التحليلية .

الشاحنة والدراجة . يمكن اعتبار ترقيم الغرف في الفنادق من هذا الصنف أيضاً . فالرقم « ٢٥ » مثلاً يشير كوحدة دلالية إلى غرفة معينة من الفندق ، كما أن كل جزء منه يشكل علامة كاملة : فالرقم « ٢ » يعين الطابق ، والرقم « ٥ » مرتبة الغرفة .

٥	٣
الغرفة الخامسة	الطابق الثالث

ومن الواضح أنه قد تدخل كل علامة من العلامتين في وحدات دلالية أخرى ، مثلما هي الحال في أرقام الغرف « ٢٥ » و « ٣٢ » ... حسب عدد الطوابق.

الصنف الثالث : وفيه يستحيل تقطيع الوحدة الدلالية إلى عدة علامات ، بل يقتصر تركيبها على علامة بسيطة فقط . لكن بالامكان تحليل دال كل وحدة دلالية إلى مركبات مختلفة ليست ذات دلالة ، أي إلى اشكال (ش) ، وتمثل ذلك كالاتي :

دال ٢				دال ١		
ش ٥	ش ٢	ش ٤	ش ٣	ش ٣	ش ٢	ش ١
مدلول ٢				مدلول ١		

يفدرج تحت هذا الصنف مثلاً : دقات استهلاكات البث الاداعي ، دقات الاوامر العسكرية ، تراقيم السجل . ففي هذه الحالات يتألف الدال من عدة نوطات أو عدة أرقام ، يمكن أن تدخل كل نوطة أو أن يدخل كل رقم منها في دالات مختلفة ، لكن دون أن يكون للنوطة الواحدة أو للرقم المنفرد مدلول ما .

الصنف الرابع : هو ما يشكل انساق اللغات الطبيعية كما سلف شرحه . أي أنه النسق الذي تلتئم فيه الوحدات الدلالية من عدة علامات ، كل دال علامة منها يمكن تقسيمه إلى عدة أشكال ، بالطبع ، مع جواز دخول العلامات ذاتها في وحدات دلالية مختلفة ودخول الأشكال ذاتها في علامات متنوعة . وهذا نمطه :

دال ١			دال ٢			دال ٣		
ش ١	ش ٣	ش ٣	ش ٤	ش ٣	ش ٣	ش ٢	ش ٢	ش ٤
مدلول ١			مدلول ٢			مدلول ٣		

وحدة دلالية ١

دال ٤			دال ١		
ش ٤	ش ٣	ش ٣	ش ١	ش ٢	ش ٣
مدلول ٤			مدلول ١		

وحدة دلالية ٢

بالإضافة إلى العبارات اللسانية ، لا يمنع برياتو Prieto إمكانية تحقق التفصيل المزدوج في انساق أخرى . فتمة نسق ترقيم للهاتف يندرج تحت هذا الصنف^(١) . مثلاً رقم الهاتف ١٧/٢٥/٦١٣٤٨٩ يتركب من ثلاث علامات ذات المدلولات الآتية :

٩	٨	٤	٣	١	٦	٥	٢	٧	١
المشترك						المدينة		المقاطعة	

مع ائتلاف كل علامة منها من عدة اشكال . بالطبع ، على الرغم من أنه يجوز نظرياً أن تتركب كل الوحدات

(١) انظر اعتراض موان على ذلك في : Introduction à la sémiologie, p.135

الدلالية من علامات مختلفة كلياً بعضها عن بعض ، وأن تتركب كل
العلامات كذلك من أشكال مختلفة ؛ إلا أنه عملياً لا مبرر لوجود
التركيب في الوحدات الدلالية وفي العلامات سوى إمكانية دخول
المركبات نفسها من أشكال وعلامات في مركبات مختلفة ، نظراً
لمبدأ التوفير ، وإلا وجب استعمال عدد لا محدود من الاشكال
والعلامات ؛ وهذا ما يتعارض وملكات الانسان الفيزيولوجية
والذهنية .

III

التيار المنطقي الفلسفي

يقول بيرس Charles S. Peirce : « انا ، على ما أعلم ، الرائد أو بالأحرى فاتح الغاب ، في توضيح وكشف ما أسميه بعلم السيمياء ، أي مذهب الطبيعة الجوهريّة والتنوعات الأساسية للدلالة الممكنة »^(١).

وبالفعل ، يُعتبر الفيلسوف الأميركي تشارلز بيرس (١٨٣٩ - ١٩١٤) مؤسس علم السيمياء الحديث وأول باحث منهجي فيه . فقد تسنى له أن يضبط المفهوم العام للعلامة وأن يضع أغنى قائمة لأصناف العلامات »

١ - المقولات الكلية

يستند علم السيمياء عند بيرس إلى فلسفة شاملة للكون ، تبدو بسبب طبعها المغالي في التجريد والتعميم موضع شك لأن تكون صالحة لتأسيس نظرية المعرفة عامّة والسيمياء خاصة . مع ذلك فهي توفر منهجية سهلة لإقامة نظرية العلامة .

(١) C.P. 5, 488.

من خلال المقارنة بين معطيات التجربة ، استطاع أرسطو أن يستخلص عشرة مفاهيم تدرج تحتها كل الكائنات ؛ هذه المفاهيم خصها باسم المقولات . أعاد كانط (Kant) محاولة التصنيف ، لكنه ، إذ انتقد أرسطو لعدم اعتماده على طريقة موثوق بها تسمح له بتعيين المقولات ، توصل عبر تصنيفه للأحكام وتحليله لها ، إلى اشتقاق اثنتي عشرة « مقولة » موافقة لها . لقد تأثر بيرس كثيراً بكانط ، كما يعترف بنفسه « إن قائمتي نجمت أساساً عن استقصاء لائحة كانط »^(١) . لذلك فهو من جهة يحاول ، كما فعل كانط أن يشتق المقولات من المفاهيم المنطقية « إذ أن المفاهيم الميتافيزيائية هي مجرد تعديل لمفاهيم المنطق الصوري ، وبالتالي لا يمكن إدراكها إلا على ضوء نسق وافٍ ودقيق جداً للمنطق الصوري »^(٢) . لكن من جهة أخرى ، لا يرى بيرس مانعاً من إمكانية انتزاع المقولات من التجربة ذاتها ، « فالميتافيزياء ، حتى الرديء منها ، تقوم بالفعل على الملاحظة ، بشكل واعٍ أو غير واعٍ . أما كون ذلك غير مجمع عليه فيعود إلى أن الميتافيزياء تعتمد على أصناف من الظواهر phenomena تكون كل تجربة عند الإنسان مشبعة منها لدرجة أنه لا يوليها أدنى انتباه »^(٣) . لا شك أن شبهة التعاند في وجهتي النظر هاتين تزول إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن مقولات الفكر ذاتها تنطبق على الموجود ، كما يشير بيرس إلى ذلك^(٤) .

في استخراج المقولات ، لم ينطلق بيرس من تصنيف الأحكام بحسب الكم والكيف والحمل والجهة ، كما فعل كانط ، بل تعدى ذلك إلى ما هو أشمل : فوجد أن كل الأحكام ، بالرغم مما بينها من

أو .

اء ،

ة

٩ -

يه .

ائمة

بدو

كون

ذلك

(١) C.P 1,300

(٢) C.P 1,625.

(٣) C.P 6.2.

(٤) راجع C.P 1,300.

اختلاف ، تشترك في تركيب ثلاثي واحد هو : موضوع - رابطة - محمول . من هذا التركيب توصل إلى اشتقاق مقولاته الثلاث الشاملة التي استقر أخيراً على تسميتها بصورة مجردة : الأولى Firstness أو أيضاً باختصار الأول First ، الثانية secondness أو الثاني second والثالثة thirdness أو الثالث third .

فمقولة الأول هي « حال وجود ما يوجد بحد ذاته ، إيجابياً ودون نسبة إلى أي شيء آخر » . تنتمي إلى هذه المقولة الكيفيات الشعورية qualities feelings أي كيفيات الظواهر الحسية كالأحمر والمر والمالس ... ، بغض النظر عن تحققها في الزمان والمكان ، أو كونها مدركة إدراكاً حسياً أو متذكّرة . وبالتالي فالأوليات مأخوذة من دون اعتبار الأشياء التي تحل فيها بل من حيث هي مجرد إمكان . « تصوّر مثلاً وعياً ليس فيه لا مقارنة ولا إضافة ولا تعدد ولا تبدل ... وعياً ليس سوى خاصية إيجابية . مثل هذا الوعي قد يكون مجرد رائحة ، مجرد صفيّر ... وبالاختصار كل كيفية للشعور feeling بسيطة وموجبة هي الممثل الحقيقي لمقولة الأول »^(١) .

مقولة الثاني هي « حال وجود ما يوجد بحد ذاته ، نسبةً إلى شيء ثانٍ ، لكن دون اعتبار شيء ثالث » وهي تشكل مقولة الواقع actuality أو الوجود ؛ إذ أن وجود شيء ما أو حدث ما لا يمكن التحقق منه إلا بتفاعله مع شيء آخر .

أما مقولة الثالث فهي « حال وجود ما يوجد بحد ذاته ، من حيث أنه يوقع نسبة بين ثانٍ وثالث » . تندرج تحت هذه المقولة كل الأشكال والعمليات الذهنية الواعية كالتفكير والمعرفة والتعقيد والاتصال . وعلى رأس هذه الأشكال والعمليات العلامة بالذات ، إذ

(١) Peirce, Die Festigung der Überzeugung und andere Schriften, 144.

إنها تمثل العلاقة الثلاثية على أكمل وجه ، كما سيتضح لنا بالتفصيل .

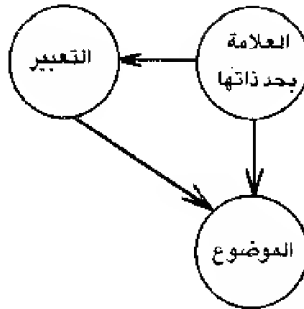
الأولية :	الإدراك الحسي أو الإحساس	الكيفية	الصفة	الإمكان
الثانوية :	التجربة أو الفعل	الكمية	الموضوع الخارجي	الوجود (أي التحقق)
الثالثية :	الفكر أو العلامة	التمثيل أو الاستحضار (representation)	العلاقة	الضرورة

علاوة على ذلك ، حاول بيرس أن يبني المقولات الثلاث على منطق المحمولات . أي ، بحسب التدرج ، تعود مقولة الأولية إلى المحمولات الأحادية نحو « س هو أحمر » ، والثانوية إلى المحمولات أو العلاقات الثنائية نحو « س أصغر من ع » ، والثالثية إلى المحمولات أو العلاقات الثلاثية نحو « س تقع بين ع و ف » . وبما أن سائر العلاقات الرباعية وما فوق يمكن ، وفقاً لبيرس ، تأديتها بعلاقات ذات حدود أقل ، خلافاً للعلاقات المذكورة ، نجم عن ذلك أن المقولات الثلاثة تشكل المقولات الأساسية التي لا يمكن اختزالها . فهكذا على سبيل المثال لا يمكن تحليل العلاقة الثلاثية « أ يعطي ب ـ ج » إلى الوصل بين علاقيتين ثنائيتين كقولنا « أ يتخلى عن ب » و « ب يصبح مُلكاً لـ ج » لأن هذا التركيب الجديد يفتقر إلى القصد الحاصل في القضية الأولى وهو أن أ يتوجه إلى ج في إعطاء ب .

٢ - مفهوم العلامة

العلامة ، التي هي نموذج لمقولة الثالثية ، تشكل إذن من حيث الكنه علاقة ثلاثية بين ثلاثة^{٥٩} وكان يطلق عليها بيرس أسماء : العلامة

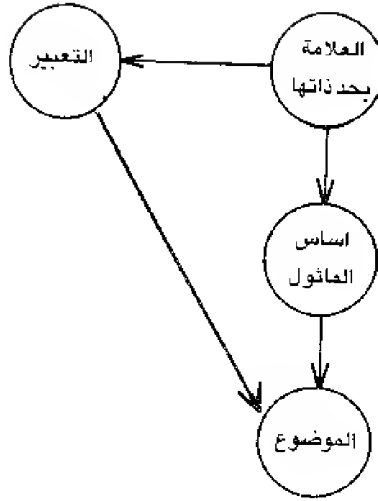
بحد ذاتها sign in itself ، والموضوع object والتعبير
: interpretant



فالعلامة هي ، بنظره ، شيء ما قائم لشيء آخر ومدرك أو معبر عنه
من شخص ما .

هذا هو المفهوم العام للعلامة . لكن في بعض التحليلات^(١) ،
يضيف بيرس أن العلامة بحد ذاتها لا تتال الموضوع مباشرة ، بل
من وجه ما some respect ، يسميه « أساس الماثول » أو
« أساس المستحضر » the ground of the representamen ،
والماثل عنده مصطلح مرادف للعلامة بحد ذاتها :

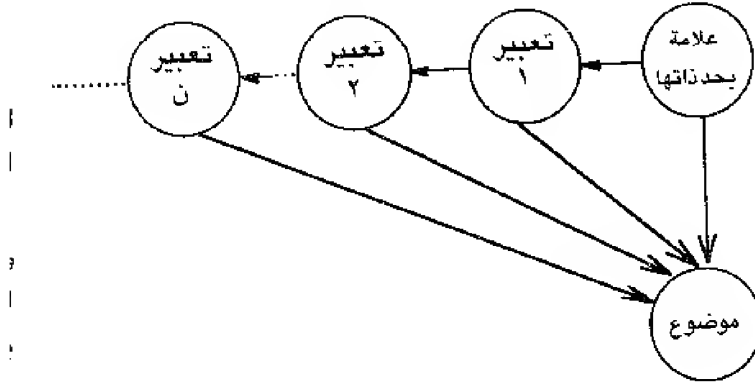
(١) راجع : C.P. 2,228.



هكذا مثلاً تكون العلامة المركبة « سجين القديسة هيلانة » دالة على الموضوع : نابليون الأول، من حيث أنه سجين الجزيرة المذكورة . أما التعبير فهو تصور آخر تبعته العلامة في ذهن الشخص المدرك . فالتعبير interpretant إذن هو ما يصدر عن المعبر interpret من رد فعل ظاهراً كان ، أم غير ظاهر كما هي الفكرة أو الصورة الذهنية . رد الفعل هذا ، الذي يدل على الموضوع أي يعبر عنه ، يشكّل بدوره علامة أخرى تستدعي تعبيراً ثانياً وهلم جرا إلى ما لانهاية له . ولذلك يحدد بيرس العلامة بالتفصيل بأنها :

« أول First يرتبط بعلاقة ثلاثية أصيلة genuine مع ثان second يسمى موضوعه ، بحيث أنه قادر على أن يعيّن ثالثاً third ، يسمى تعبيره ، كي يقوم (هذا الثالث) بالعلاقة الثلاثية ذاتها التي

يرتبط بها بموضوعه الأول ... «^(١)» و « هكذا إلى مالا نهاية له »^(٢).
هذا التعريف يمكن تمثيله على الشكل الآتي :

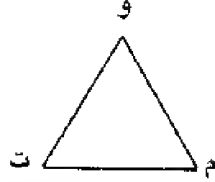


في مثلنا السابق يمكن اعتبار كل التصورات التي يستدعيها القول « سجين القديسة هيلانة » أمثال : المنتصر في أوسترلنز ، قائد الحملة إلى مصر ، زوج ماري لويز ، امبراطور فرنسا ؛ على التوالي بمثابة تعبير أول وتعبير ثاني وتعبير ثالث وتعبير رابع الخ ... عن الموضوع : نابليون .

٣ - نسب العلامة

يستفاد مما سبق أن العلامة تقوم أساساً على علاقة ثلاثية (ل) بين ثلاث حيثيات هي على التوالي : العلامة يحد ذاتها ، أو كما نريد أن نقول مع بنزي M. Benze ، الوسيلة (و) ، والموضوع (م) ، والتعبير (ت) . هذا ما يمكن إجماله بشكل مثلث :

(١) C.P. 2,242.



استناداً إلى هذا التحليل ، يرمز بنزوي إلى تركيب العلامة (ع) على النحو الآتي :

$$ع \Leftarrow ل (و ، م ، ت)$$

وبشكل أدق ، للاشارة إلى تسلسل الحثيات ، أي إلى أن الموضوع يتبع الوسيلة ، والتعبير يتبع الوسيلة والموضوع معاً ، يؤدي بنزي العلاقة الثلاثية للعلامة (ل ع) هكذا :

$$ل ع \Leftarrow ((و \Leftarrow م) \Leftarrow ت)$$

وبما أن كل حيثية من هذه الثلاث تنتمي إلى إحدى المقولات التي سبق ذكرها ، إذ أن الوسيلة هي من مقولة الأول ، والموضوع ، لكونه يعود إلى الواقع الخارجي وبالتالي يتفاعل مع بقية الوقائع ، هو من مقولة الثاني ، وأن التعبير الذي يشكل بدوره ، كما رأينا ، علامة ، أي أنه بتوجهه نحو الموضوع يستدعي تعبيراً ثانياً ، هو من مقولة الثالث ، يحسن ، على غرار بنزي ، توضيح هذا الانتماء إلى المقولات باستعمال الأعداد ١ و ٢ و ٣ بدلاً من (و) و (م) و (ت) ، وتحديد التركيب العلائقي للعلامة على النحو الآتي :

$$ل ع \Leftarrow ((١ \Leftarrow ٢) \Leftarrow ٣)$$

هذه الطريقة تُظهر جلياً أن التركيب المذكور يؤلف ، بحسب لغة نظرية المجموعات ، ثلاثية مرتبة un triple ordonné ، وينطوي في الوقت نفسه على عملية التوليد التي تحصل بالتتابع من ١ إلى ٢ إلى ٣ ، وعملية الفساد degeneration المعاكسة لها . كما تبين أن كل حيثية من حيثيات العلامة تمثل إحدى المقولات الكلية . ولهذا

فالعلامة ككل تشكّل نموذجاً حقيقياً للعالم ، إذ أنها تتضمن كل الكائنات الممكنة التي تُتصور تحت المقولات الثلاث . فالعلامة من حيث أنها وسيلة تُعد جزءاً من العالم المادي ، ومن حيث كونها موضوعاً تُعد جزءاً من عالم الأشياء والأحداث ، ومن حيث كونها تعبيراً تنتمي إلى مجال القواعد والأشكال الذهنية .

بالنسبة إلى كل حيثية من الحيثيات الثلاث ، يُخضع بيرس العلامة من جديد لتفريع ثلاثي trichotomie موافق للتقسيم الثلاثي للمقولات . إذ أن كل حيثية تنطوي بدورها من جهة ما على مقولة الأول والثاني والثالث : أي بقول آخر على نسبة إلى الوسيلة (و) ونسبة إلى الموضوع (م) ونسبة إلى التعبير (ت) . لتعيين الفروع التسعة التي تنجم عن هذه العملية ، تلجأ مدرسة شتوتغارت Stuttgart إلى إقامة جدول ضرب على هذا النحو :

التفريع			
و	م	ت	
و	م و	ت و	حيثيات العلامة
م	م م	ت م	
ت	م ت	ت ت	

أو أيضاً باستعمال الأعداد :

التفريع			
١	٢	٣	
١	١٢	١٣	حيثيات العلامة
٢	٢٢	٢٣	
٣	٣٢	٣٣	

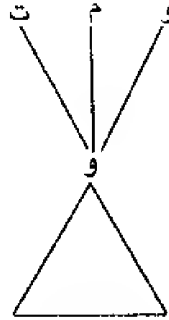
كل واحد من هذه الفروع التسعة لا يشكل بحد ذاته علامة
تامة ، بل لا بد له أن يدخل في التركيب مع فروع أخرى حتى يتحقق
ذلك ، ولذلك يُطلق عليه اسم « علامة تحتية » Subzeichen .
مع بيرس سوف نبحث بالتفصيل عن هذه العلامات التحتية ،
أعني عن فروع العلامة بالنسبة إلى الحثيات الثلاث :

١ - ٣ العلامة بالنسبة إلى الوسيلة .

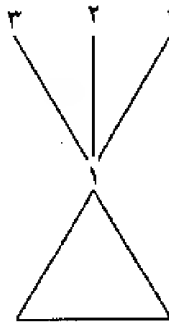
ان العلامة من حيث هي وسيلة ، أي بلغة بيرس العلامة بحد
ذاتها ، قد تكون مجرد ظاهرة أو كيفية بحتة ، وتسمى عندها « علامة
كيفية » Quali-Sign . فكل قوام مادي للعلامة هو كيفية : من هذا
القبيل الصفات الحسّية كالألوان والأنغام والروائح إلخ ...
وقد تكون الوسيلة شيئاً أو حدثاً فرديين حاصلين في الخارج ،
وتسمى لذلك علامة عينية Sin-sign . هكذا مثلاً تشكل إحدى
الكلمات في سطر ما من صفحة كتاب مخصوص علامة عينية ، ولو
وجدت آلاف النسخ من هذا الكتاب . وكذلك كل عمود إشارات
ضوئية هو في مكانه علامة ، مهما تكررت الأعمدة في شارع ما .
أما إذا كانت العلامة ذات طبيعة عامة فتسمى « علامة قانونية »
Legi-Sign . خلافاً للعلامة الكيفية والعينية ، لا ترتبط العلامة
القانونية بتحقق مخصوص لها بل تبقى هي ذاتها في كل تجلياتها .
هكذا مثلاً كلمة « بيت » ، بغض النظر عن تعدد لفظها أو كتابتها ،
هي علامة قانونية واحدة . من نوع هذه العلامات : ألفاظ اللغات
الطبيعية ، الرموز الرياضية والكيميائية ، علامات السير ، الإشارات
الجوية ، الشعارات الدينية كالصليب والهلال إلخ ... مما سلف
نستطيع أن نتبين أن العلامة العينية ليست سوى تحقق فردي
للعلامة القانونية .

إلى جانب المصطلحات التي أتينا على ذكرها ، يستعمل بيرس
أحياناً مصطلحات أخرى مرادفة لها هي وفقاً للتسلسل السابق Tone

و Token و Type . وقد لاقى الأخيرتان وحدهما شيوعاً في
 الألسنية الحديثة . كما أنه غالباً ما يُستعمل حالياً في السيمياء
 لهذين المفهومين اعني لـ Token و Type المصطلحان : إسكيمات
 العلامة Zeichenschema وعينة العلامة Zeichenexemplar .
 بشأن التعريفات الواردة في جدولي الضرب السابقين ، تُقابل
 العلامات الكيفية والعينية والقانونية على التوالي الحروف المرتبة :
 (و) ، (م و) و (ت و) . أي ان العلامة الكيفية (وو) تؤلف فرع
 الوسيلة من حيثية الوسيلة ، والعلامة العينية (م و) فرع الموضوع
 من حيثية الوسيلة ، والعلامة القانونية (ت و) فرع التعبير من حيثية
 الوسيلة :



أو أيضاً يقابل هذه العلامات أنماط الأعداد (١١) ، (١٢) و (١٣) على هذا الشكل :



٢ - ٣ العلامة بالنسبة إلى الموضوع :

من حيث الدلالة على موضوع ، يقسم بيرس العلامة إلى أيقونة Icon وشاهد Index ورمز Symbol . ونعني هنا بالموضوع أي شيء ما يمكن الدلالة عليه أو تسميته .

فالأيقونة ، وفقاً لبيرس ، هي علامة تدل على موضوعها من حيث أنها ترسمه أو تحاكيه . وبالتالي يُشترط فيها أن تشاركه ببعض الخصائص ، أي أن تمثله من جهة التشابه ما بينهما . لكن بالرغم من أن التشابه يفترض تعلق الأيقونة بصفات معينة من الشيء المدلول ، فعن ذلك لا يلزم بالضرورة أن تكون الأيقونة متوقفة على وجود موضوع خارجي معين ، إذ كثيرة هي الأيقونات التي لا تدل إلا على موضوعات وهمية أو متخيلة كما في بعض الرسوم (صورة العنقاء) والمسرحيات والأفلام : ناهيك عن أنه في أغلب الأعمال الابتكارية تسبق عادة النماذج والتصاميم الموضوع المنوي انجازه . من أمثال الأيقونة : الصور والرسوم والنماذج والبنيات والتصاميم والاستعارات والتوابع والمعادلات والأشكال على أنواعها (الأشكال المنطقية ، الأشكال الشعرية ، ...) . بالطبع ، لا تؤلف مفردات اللغة بالدرجة الأولى أيقونات ، إنما هيئة تركيب المفردات ، أي المبنى ، من حيث أنها تطابق ترتيب الموضوعات تدخل ولا شك تحت صنف الأيقونة .

يمكن ابدال أيقونة بأيقونة لها تصوّرها ، وهكذا إلى ما لا نهاية . فمثلاً تكون الصورة الفوتوغرافية للوحة الجوكوندا أيقونة الأيقونة ، ونسخة عن الصورة الفوتوغرافية أيقونة أيقونة الأيقونة . في مثل هذه الحال ، يخص بيرس الأيقونة من الدرجة الأولى باسم الأيقونة الاصلية Genuine ، أما التي من درجة أعلى فينبعثها بالأيقونات الفاسدة أو المنحدرة degenerate .

تمتاز الدلالة الأيقونية عن غيرها في أنها تصلح لأن تكون وسيلة دولية للتواصل والتفاهم ، وهو أمر شائع في كثير من الميادين ، كما في تصميم المدن والخرائط الجغرافية والتخطيطات العلمية الخ
 إنما هذا لا يعني أن العلامات الأيقونية لا تحتاج إلى تفسير ، بل على غرار سائر العلامات يمكن توضيحها وشرحها بعلامات أخرى .
 إن الأيقونة لا تقتصر ، كما يوحي أصل المصطلح ، على ما هو مرئي ، بل توجد في أي تشابه أو تلاؤم يقع بين مختلف المعطيات الحسية من مشموم ومسموع ومطعموم . فكما أن مثلاً صورة عبد الوهاب الفوتوغرافية هي أيقونة للمطرب ، كذلك تسجيل لصوته يمثل بهذا المعنى ، إذ أن التسجيل يظهر تشابهاً من وجهه ما مع المدلول .
 أما الشاهد index (أو أيضاً ما يمكن تسميته بالدليل بالمعنى الخاص)^(١) فيختص بعلاقة المجاورة بينه وبين الموضوع . وبسبب هذه العلاقة المباشرة مع الموضوع ، كان من طبيعة هذا الأخير أن يكون فرداً أو حدثاً مخصوصين متعينين في المكان والزمان . من أمثلة الشاهد : الدخان بالنسبة إلى النار ، النصب التي تعطي إرشادات عن الطريق ، التصبيع ، الأسهم ، الأعداد الترتيبية ordinal ، أسماء العلم ، أسماء الإشارة ، ضمائر الوصل ، الخ ...
 يُحتاج إلى الشاهد عند كل تعيين لشيء ما . فأيّة معلومات عن الواقع الخارجي لا بد لها وأن تتضمن بعض الشواهد ، إذ من دون هذه لا يمكن الفصل بين الحقيقة والخيال . وبالتالي فالشواهد تخص مجال التجربة الخارجية .

قد يدل الشاهد على موضوعه بطريقة بعيدة وذلك بأن يتوسط بينهما شاهد آخر أو أكثر . فالدخان شاهد على النار ، وهذه بدورها

(١) راجع على سبيل المثال : ابن سينا ، النجاة ، المنطق (فصل في الدليل) ص ٥٩ .

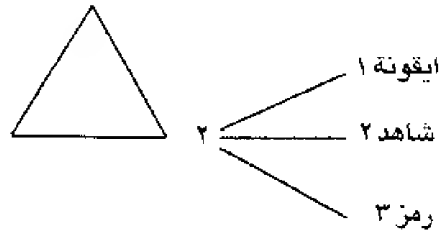
قد تكون شاهداً على وجود بيت . بهذا الإطار يميّز بيرس نوعين من الشواهد : شاهد أصلي يرتبط مباشرة بموضوعه وشاهد منحدر ؛ هكذا مثلاً تشكل الطريق التي تؤدي إلى مدينة ما شاهداً أصلياً على المدينة ، بينما إشارة السّير التي تدل على هذه المدينة هي شاهد منحدر ، وبنوع عام كل الشواهد اللغوية ليست أصلية ؛ ذلك أن أسماء العلم ، على سبيل المثال ، ليس لها اتصال مباشر بموضوعها ، وبالتالي فهي تقوم بدور الشاهد فقط من حيث أنها تمكّن من تعيين الشخص . فإذا كان الشخص غير معروف من السامع ، احتاج هذا الأخير إلى شواهد أصلية كمحل الإقامة وتاريخ الولادة والإمضاء الخ ... حتى يتم له تعيين الشخص . وأخيراً ، الرمز هو علامة تدل على موضوعها ، لمجرد الوضع ، دون أن تكون هناك علاقة شبه أو مجاورة كما هي الحال مع قسيميه : الأيقونة والشاهد . لقد استعمل بيرس كلمة symbol بهذا المفهوم المغاير لما هو شائع ، استناداً إلى تركيب الكلمة اليونانية من $\sigma\acute{\upsilon}\mu$ و $\beta\omicron\lambda\omicron\nu$ ، ويُقصد به حرفياً ما يقع - مع ، وبالتالي مجازاً ، ما يتواضع أو يتفق عليه . بما أن الرمز لا يتصل مباشرة بموضوع معيّن ، فهو لا يدل على فرد أو حدث متعلقين بالزمان والمكان ، بل يرجع إلى موضوع عام . من هذا القبيل مثلاً كلمة « بيت » التي تستعمل للدلالة على أي بيت بالرغم من الاختلافات القائمة بين البيوت المتعددة .

مثلاً يفعل بيرس فيما يخص الأيقونة والشاهد ، يميّز أيضاً في هذا المجال بين الرموز الأصلية والرموز المنحدرة . تنتمي إلى الرموز المنحدرة الكلمات الكلية الدالة على فرد مخصوص ؛ مثل كلمة « شمس » التي تنحصر في الدلالة على شيء واحد مع عدم امتناع وجود شمس أخرى . وكذلك تنتمي إلى هذا النوع الكلمات المجردة مثل « الإنسانية » التي تعني مجموعة الناس ككل موحد .

بالطبع ، لا يتم تعريف الرمز إلا بالاستعانة أخيراً بالعلامات الأخرى ، أي الشواهد والأيقونات ؛ إذ لا بد في النهاية من الإشارة إلى الأشياء المقصودة بالرمز أو إلى صور مشابهة لها.

لا يمكن إنكار الأهمية الكبيرة للرموز في سائر ميادين المعرفة ، إذ هي قادرة على تمثيل كل الموضوعات والأحداث وإظهار العلاقات القائمة فيما بينها ، خصوصاً في مجال العلوم الجازمة.

وفقاً لجدول الأرقام السابق ، يتحدد كل من الأيقونة والشاهد والرمز على التوالي بهذه الأزواج من الأعداد : (٢١) ، (٢٢) ، (٢٣) ، بحيث أن الأيقونة تشكل نسبة العلامة إلى الموضوع من الدرجة الأولى ، والشاهد نسبة العلامة إلى الموضوع من الدرجة الثانية والرمز من الدرجة الثالثة :



أ
أ

إن هذه القسائم الثلاثة ، أعني الأيقونة والشاهد والرمز ، يجب أن تؤخذ بمثابة متوالية توليدية تماماً كما هي حال حيثيات العلامة الثلاثة أي الوسيلة والموضوع والتعبير ، بشكل أن الشاهد يستند إلى الأيقونة ، والرمز يستند إلى الشاهد وإلى الأيقونة معاً.

فيما يخص فروع كل من الحيثيتين ، حيثية الوسيلة وحيثية الموضوع ، يمكن مزجها على النحو الآتي :

أ
أ

إذا أخذنا بعين الاعتبار تسلسل الحيثيات ، أي قدمنا هنا حيثية

الوسيلة على حيثية الموضوع ، وإذا طبقنا ، عند المقارنة بين فروع
حيثية وفروع حيثية أخرى ، المبدأ :

١ ← ٢ ← ٣

أي أن المقولة الثالثة تستلزم الثانوية وهذه بدورها تستلزم
الأولية ، كما يقع مع الجهات المساوقة لهذه المقولات ، أعني :

الضرورة ← الوجود ← الإمكان

نحصل على هذه التراكيب :

فروع حيثية الوسيلة	فروع حيثية الموضوع
١١	٢١
١٢	٢١
١٢	٢٢
١٣	٢١
١٣	٢٢
١٣	٢٣

هذه العلاقات الستة تشير إلى أن العلامة الكيفية (١١) لا يمكن
أن تكون بالنسبة إلى الموضوع إلا أيقونية (٢١) ، وأن العلامة
العينية (١٢) قد تكون أيقونية (٢١) وقد تكون شاهدة (٢٢) أيضاً .
أما العلامة القانونية (١٣) فقد تكون أيقونة (٢١) أو شاهدة (٢٢) أو
رمزاً (٢٣) كذلك .

٣ - ٣ نسبة العلامة إلى التعبير :

بالنسبة إلى التعبير يميز بيرس أيضاً ثلاثة فروع ، يستعير لها
المصطلحات من المنطق التقليدي . وهذه الفروع يسميها على
التوالي Rhema و dicent و argument .
يقابل مصطلح الـ Rhema حرفياً في المنطق عند العرب لفظة

« مفردة » . لكن ، بما أن بيرس يستعمله بمعنى أعم يشمل المفردة وكل مركب ناقص من المفردات ، فإن لفظة « التصور » ، الشائعة أيضاً في المنطق العربي ، تنطبق تماماً على هذا المصطلح . فالتصور أي الـ Rhema إذن يعني في هذا المجال كل علامة مفردة أو مركبة لا تصلح لأن تكون حكماً بل فقط حداً في الحكم . وهي بالتالي لا تحتل لا الصدق ولا الكذب . من هذا القبيل المحمولات البسيطة مثل « أسمر » والمحمولات المركبة مثل « طويل الشعر » والإستعارات مثل « أسد » بدل « سمير » ، والعينات والعناصر الزخرفية والهيكليات الخ ...

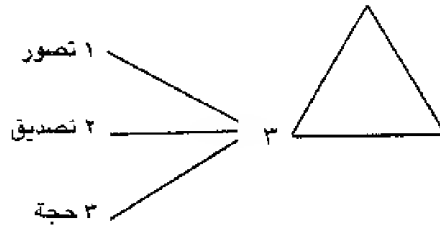
أما كلمة *dicent* التي تعني حرفياً : القول ، فإنها تختص عملياً بقسم من القول الذي هو تام . ولا تنطوي على القول المسمى بالناقص ، الذي يندرج تحت مفهوم الـ Rhema . لذلك سوف نصطلح على تسميتها بالعربية بلفظة « التصديق » الموافقة لها على مستوى المعاني والمقابلة للتصوّر في المنطق العربي . يحدد بيرس الـ *dicent* أي التصديق بأنه علامة « قابلة للحكم » أي أنها تقبل الصدق أو الكذب . وهي بهذا المعنى مركب لا يحتاج إلى الزيادة ، أو كما يقول منطقة العرب : « مركب يصح السكوت عليه » . خارج اللغة حيث التصديق يتحقق كما هو واضح في القضية ، نجد في مجال الهندسة المعمارية مثلاً للتصديق في واجهة البناية ، إذ أن الواجهة تؤلف وحدة مغلقة تامة يمكن أن يحكم فيها بالسلب أم بالإيجاب .

وأخيراً ، الحجة *argument* هي تأليف من العلامات لا يتعلق سوى بالقواعد ، وهي أكمل سائر العلامات . من وجهة البنية تعتبر الحجة صحيحة أي دائمة الصدق . هكذا مثلاً تنتمي إلى الحجج الأقيسة المنطقية ، نحو :

$$\begin{array}{r} \text{أ هـ ب} \\ \text{ب هـ ج} \\ \hline \text{أ هـ ج} \end{array}$$

وكذلك الأشكال الشعرية كالموشحات وغيرها . فما يخص هذا الفرع من التعبير ، يستحيل أن تكون النسبة إلى الموضوع إلا رمزية ، وبالطبع لا تكون عندها الوسيلة المستعملة سوى علامة قانونية legi-sign . فالحجة إذن هي تأليف بالوضع يتطلب دلالة وضعية .

مما سبق ، يتضح أن كل واحد من فروع العلامة بالنسبة إلى التعبير ، أي التصور والتصديق والحجة ، يتمثل على التوالي بالأزواج الآتية : (٣١) ، (٣٢) و (٣٣) :



كما تم لنا فيما يخص فروع حيثية الوسيلة وفروع حيثية الموضوع ، يمكن أيضاً الحصول على التراكيب التالية بين فروع حيثية الموضوع وفروع حيثية التعبير ، بعد تحقيق الشروط التي سبق ذكرها :

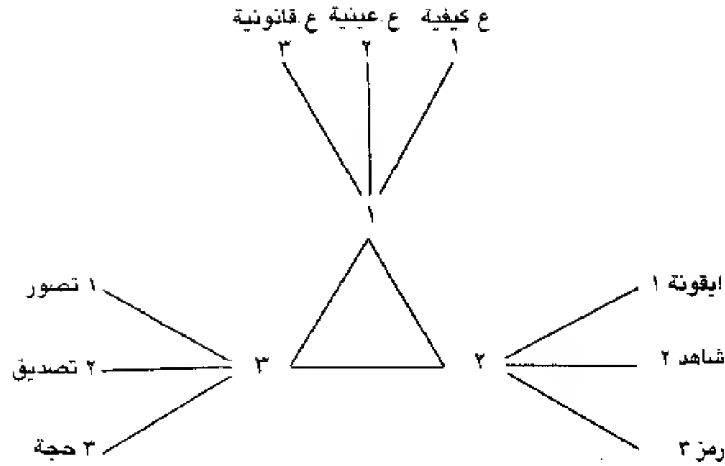
فروع حيثية الوسيلة	فروع حيثية الموضوع
٣١	٢١
٣١	٢٢
٣٢	٢٢
٣١	٢٣
٣٢	٢٣
٣٣	٢٣

وعليه ، لا يصح التعبير عن الأيقونة إلا بطريقة تصويرية . بينما التعبير عن الشاهد يجوز أن يتحقق تصوُّراً أو تصديقاً . وأما التعبير عن الرمز فإنه يمكن أن يجمع بين التصوُّر والتصديق والحجة .

٤ - أصناف العلامات Classes of Signs

إن تصنيف العلامات عند بيرس لا يعتمد على إحصاء العلامات المسماة في لغة ما أو على الخصائص الخارجية ، بل ينطلق من قوام الكائنات نفسها .

كما اتضح لنا ، تتركب كل علامة من ثلاثية triade من الحيثيات . ولما كانت كل حيثية تحتل بدورها تثليثاً من الفروع trichotomie بحيث إن مجمل العلامات التحتية sub- sign هو :



فإننا بالتالي نعني مع بيرس بصنف العلامة كل مركب من ثلاث علامات تحتية كل واحدة منها تنتسب إلى حيثية مختلفة . فهكذا مثلاً يشكل المركب من علامة عينية وأيقونة وتصور صنف علامة .

من الوجهة الرياضية البحتة يمكن الحصول على $2^3 = ٨$ مركب . لكن بسبب الشروط الموضوعة من ترتيب الحيثيات واستلزام الفروع بعضها لبعض أي : $٣ \leftarrow ٢ \leftarrow ١$ ، تنحصر الاصناف بعشرة فقط . للحصول على هذه الاصناف ، يمكن الجمع بين قائمتي المركبات من فروع العلامة بالنسبة إلى الوسيلة والموضوع من جهة ، ومن فروع العلامة بالنسبة إلى الموضوع والتعبير من جهة أخرى ، مع توحيد فقط ما هو مشترك من فروع العلامة بالنسبة إلى الموضوع على هذا النحو :

فروع حيثية الموضوع + الوسيلة	فروع حيثية الوسيلة	فروع حيثية التعبير
١١	٢١	٣١
١٢	٢١	٣١
١٢	٢٢	٣٢
١٣	٢١	٣١
١٣	٢٢	٣٢
١٣	٢٣	٣٣

فتتأني لنا أصناف العلامات الآتية بترتيبها وأسمائها كما وردت عند

بيرس ، وهي :

I	١١-٢١-٣١	علامة تصويرية أيقونية كيفية
II	١٢-٢١-٣١	علامة تصويرية أيقونية عينية
III	١٢-٢٢-٣١	علامة تصويرية شاهدة عينية
IV	١٢-٢٢-٣٢	علامة تصديقية شاهدة عينية
V	١٣-٢١-٣١	علامة تصويرية أيقونية قانونية
VI	١٣-٢٢-٣١	علامة تصويرية شاهدة قانونية
VII	١٣-٢٢-٣٢	علامة تصديقية شاهدة قانونية
VIII	١٣-٢٣-٣١	علامة تصويرية رمزية قانونية
IX	١٣-٢٣-٣٢	علامة تصديقية رمزية قانونية
X	١٣-٢٣-٣٣	علامة حجية رمزية قانونية

من الملاحظ ان تسلسل أسماء العلامات التحتية وبالتالي

تسلسل أزواج الأرقام يتبع الترتيب الآتي للحيثيات : التعبير -

الوسيلة - الموضوع ، وهو ترتيب معاكس لما جرينا عليه سابقاً .

لكن هذا لا يضير ، إذ أن المركبات ، تبقى هي ذاتها إذا قلنا ترتيب الأزواج .

حتى لا نبقي على مستوى التعميم ، سنشرح كل واحد من هذه الأصناف بالتفصيل .

I العلامة التصورية الأيقونية الكيفية :

الثلاثية (٣١ - ٢١ - ١١) تسند العلامة الكيفية إلى أيقونة بالنسبة إلى الموضوع ، وإلى تصور بالنسبة إلى التعبير . وبالفعل فالعلامة الكيفية ، كاللون الأحمر مثلاً ، لا يمكن أن تدل على موضوعها إلا لشبه ما وبالتالي لا يمكن أن تكون إلا أيقونية . وفوق ذلك ، بما أن الكيفية هي إمكانية بحتة ، فهي لا تستطيع أن تكون إلا علامة على الماهية أي تصوراً .

II العلامة التصورية الأيقونية العينية :

هذا الصنف هو شيء أو حدث من التجربة ، يدل على موضوعه من بعض كفياته . لذلك ، أي لكونه أيقوني ، فهو لا يمكن إلا أن يكون تصورياً . مثال ذلك تخطيط diagram فردي ما ، كتخطيط حرارة مريض معين .

III العلامة التصورية الشاهدية العينية :

هي شيء أو حدث من التجربة المباشرة ، يدل على موضوعه لعلية ما بينهما ، مثل الصرخة الفجائية التي تنم عن ألم أو فرح الخ ...

IV العلامة التصديقية الشاهدية العينية :

هي شيء أو حدث من التجربة المباشرة ، يخبر ، بقدر ما هو علامة عن موضوعه الذي هو واقع حالي . وهذا بالطبع لا يمكن أن يحصل إلا إذا كان الشيء أو الحدث متأثراً بالموضوع . مثال ذلك دوار أو ميزان الريح الذي يخبر بوضعه الحالي عن اتجاه الريح الفعلي .

V العلامة التصورية الأيقونية القانونية :

هي قانون عام أو نمط ، كل واحد من تحققاته الفردية يمتلك
كيفية تخوله أن يثير في ذهن المعبر interpret صورة عن
موضوعه . من هذا القبيل التخطيط العام الذي لا يتعلق بحالة فردية
معينة ، بل ينطبق على سائر الحالات المتشابهة مثل التخطيط العام
للحرارة الناجمة عن الحصة .

VI العلامة القصورية الشاهدية القانونية :

هي قانون عام أو نمط ، كل واحد من تحققاته الفردية مرتبط أو
متأثر بموضوعه ، بشكل أنه يوجه الإنتباه إلى هذا الموضوع . مثال
هذه العلامة الضمائر وأسماء الإشارة .

VII العلامة التصديقية الشاهدية القانونية :

هي قانون عام أو نمط ، يفيد خبراً ما عن موضوعه ويدفع المعبر
إلى العمل أو الأخذ بالقرار . من أنواع ذلك إشارات السير والأوامر
الخ ...

VIII العلامة التصورية الرمزية القانونية :

هي علامة مرتبطة بموضوعها بواسطة اقتران المعاني الكلية
general ideas . فكل إسم عام مثل « بيت » أو « شجرة » هو من
هذا الصنف .

IX العلامة التصديقية الرمزية القانونية :

هي علامة ترتبط بموضوعها بواسطة اقتران المعاني الكلية ،
كي تفيد خبراً عن هذا الموضوع . مثالها : القضايا المعهودة نحو
« الوردة حمراء » و « الفلاسفة مجتهدون » الخ ...

X العلامة الحجية الرمزية القانونية :

هي علامة مؤلفة من مركب تام وقياسي من العلامات . خلافاً للعلامة السابقة ، لا يجري فيها تحديد الموضوع ، بل تحديد التركيب الحاصل بين العلامات التي تخبر عن الموضوع (أي العلامات التصديقية الرمزية القانونية) . هذا النوع من العلامات الحجية هو دائم الصدق أي صحيح . مثالها : الأقيسة والبراهين المنطقية ، الأشكال الشعرية الخ ...

لإبراز التقارب بين هذه الأصناف ، يرتبها بيرس في جدول على شكل المثلث التالي :

X علامة حجية رمزية قانونية	VIII علامة تصويرية رمزية قانونية	V علامة تصويرية ايقونية قانونية	I علامة تصويرية ايقونية كيفية
IX علامة تصديقية رمزية قانونية		VI علامة تصويرية شاهدية قانونية	II علامة تصويرية ايقونية عينية
VII علامة تصديقية شاهدية قانونية		III علامة تصويرية شاهدية عينية	
		IV علامة تصديقية شاهدية عينية	

IV

الطرح السلوكي للسمياء

مع ظهور كُتَيْب تشارلز مورس Ch. W. Morris « أسس نظرية العلامات » « Foundations of the theory of Signs » سنة ١٩٣٨ ، تلقت السيمياء ، دفعاً جديداً نحو التوسع والترسخ . أمام تعدد المقاربات السيميائية ، أراد المؤلف أن يقيم بنية نظرية بسيطة تجمع بين هذه المقاربات ، وتوجد ليس بين العلوم الانسانية فحسب ، بل بين كل العلوم . وقد اعتمد لذلك على منهج يوفق بين المذهب الذرائعي الاميركي والتجريبية المنطقية الالمانية . في كتابه « العلامات واللغة والسلوك » « Signs, Language and Behavior » الصادر سنة ١٩٤٦ ، يحاول المؤلف تفصيل المفاهيم السابقة والتدقيق فيها ، متوسلاً نظريات سلوكية أكثر منهجية وتطوراً ، تتيج له أن يتلافى الإشكالات الناجمة عن التفسير السلوكي الساذج . وأخيراً في كتاب « المعنى والمغزى » « Signification and Significance » (١٩٦٤) ، انطلقاً من مفهوم العلامة ، يتطرق مورس إلى البحث في موضوعات مستجدة في الفلسفة وعلوم اللسان والقيم والجمال الخ.

نعرض في هذا الفصل طرح مورس للسمياء ، آخذين بعين الاعتبار المراحل التي مر بها .

١ - العلامة والتسويم

يستعمل مورس كلمة « علامة » بالمعنى الشائع ، أي المعنى الذي يميزه بيرس بلفظ « العلامة بحد ذاتها » والذي يختص بالدال فقط . وبما أن العلامة بهذا المفهوم لا تقوم إلا ضمن عملية الدلالة signprocess أي التسويم semiosis ، ينطلق مورس من تعريف هذه العملية .

في كتاب « أسس نظرية العلامات » يتضمن التسويم بشكل رئيسي ثلاثة عناصر^(١) : ما يقوم بدور العلامة ويسمى « حامل العلامة » sign vehicle ، ما تدل عليه العلامة أي « المدلول » designatum ، والآخر الذي يحدث في المتلقي للعلامة ، ويسميه مورس نقلاً عن بيرس « التعبير » interpretant . علاوة على ذلك يمكن إضافة عنصر رابع في عملية التدليل أو التسويم وهو الكائن العضوي الذي يصدر عنه التعبير أي المُعَبِّر interpreter . هكذا مثلاً في رحلة صيد ، إذ يطارد الكلب الطريدة عند سماعه صفير أو صوت معلمه ، يشكل الصفير حامل العلامة ، والاصطياك المدلول ، وسلوك الكلب في التماس الطريدة التعبير ، والكلب ذاته المُعَبِّر . كذلك ، حينما يتلقى مسافر من صديق رسالة تصف له المنطقة التي يريد السفر إليها ، تكون الرسالة حامل العلامة ، والمنطقة المدلول ، ويكون المسافر المُعَبِّر ، وتهيوه لتصرف يتلاءم والمنطقة التعبير . استناداً إلى قائمة عناصر التسويم المذكورة ، يقترح مورس التعريف الآتي للعلامة :

« ع هي علامة على المدلول م بالنسبة للتعبير ت ، بقدر ما يأخذ ت بالاعتبار بمقتضى حضور ع »^(٢) .

(١) راجع . صص ٣ - ٤ .

(٢) المرجع ذاته ، ص ٤ .

في التسويم إذن ثمة شيء يأخذ بالاعتبار شيئاً آخر بطريقة غير مباشرة ، أي بواسطة شيء ثالث . وبالتالي يكون التسويم أخذاً بالاعتبار بالتوسط a mediated- taking- account- of . فالوسيط هو حامل العلامة ، والأخذ بالاعتبار هو التعبير ، والقائم بالعملية هو المعبر ، وما يُؤخذ بالاعتبار هو المدلول.

يجب لفت النظر إلى أن مفاهيم العلامة والمدلول والتعبير والمعبر يتعلق بعضها ببعض. فشيء ما لا يكون علامة إلا إذا فهم من معبر ما على أنه علامة لشيء آخر . والأخذ بالاعتبار لأمر ما هو تعبير ليس إلا لكونه يلزم عن أمر ما يقوم بدور العلامة . والمعبر هو كذلك لأنه فقط يأخذ باعتباره أمراً ما بتوسط العلامة . وبالتالي ، كون الشيء علامة أو مدلولاً أو تعبيراً أو معبراً هو من الخصائص المتضايقة ، التي تعود إليه لمشاركتها في عملية التسويم فحسب . وعليه ، لا تنحصر هذه المفاهيم بمجالات محددة من الموضوعات الخارجية ، بل يمكن أن تنطبق على أي نوع من الموضوعات ، شرط أن تقوم بينها علاقات من التي سبق وصفها.

إذا كان ، بحسب التعريف ، لا بد لكل علامة من مدلول ما ، فهذا لا يعني أن كل علامة يجب أن ترجع إلى موضوع متحقق الوجود في الخارج . بالطبع لا يمكن أن تقوم مدلولات بمعزل عن عملية التسويم ، لكن يمكن أن توجد موضوعات من دون وجود تسويم . وليس ثمة تناقض في القول أن كل علامة لها مدلول ولكن ليس كل علامة تُحيل على موجود خارجي . فإن وجد المحال عليه بالفعل ، يُسمى مورس عندها موضوع الإحالة « المرجع » أو « المرجوع إليه » denotatum . والفرق بين المدلول والمرجوع إليه ، هو أن المدلول ليس بشيء بل هو صنف class أو مجموعة من الأشياء ، أما المرجوع إليه فهو كل عنصر من عناصر المجموعة . وقد تنطوي المجموعة على عناصر كثيرة أو عنصر واحد أو لا عنصر

البتة . هذا ما يفسر مثلاً سلوك انسان يتأهب للعيش في جزيرة لم توجد قط أو اختفت في قاع البحر منذ أمد طويل.

أمام بعض الاعترافات والصعوبات التي واجهها التفسير السلوكي البسيط لمفهوم العلامة ، حاول مورس أن يقيم هذا المفهوم على أساس سلوكي أكثر منهجية مستعيناً بالأبحاث المتطورة في هذا الميدان ، وخصوصاً بنظرية أزجود Osgood ، مبتعداً بذلك عن سلوكية واطسن Watson القديمة . ففي كتاب « العلامات واللغة والسلوك » « Signs, Language and Behavior » ، تجنباً لاستخدام مفاهيم ذهنية كالعقل والفكر ، يطرح مورس قائمة من الشروط التي يجب أن تتحقق في شيء ما ، حتى يصح اعتباره علامة . بنوع عام ، لا بد لهذه الشروط أن تركز على احداث قابلة للملاحظة . وعليه ، يصبح تعريف العلامة كما يلي :

« إذا كان شيء ما أ ، عند غياب الموضوع المثير الذي يبعث على متتابعات من الاستجابات من أسرة سلوكية معينة ، مثيراً تحضيرياً يحدث في جهاز عضوي ما تهيؤاً لأن يرد عند تحقق شروط معينة بمتتابعات من الاستجابات من الأسرة نفسها ، فعندها يكون أ علامة » (١).

بالطبع ، معظم المفاهيم الواردة في هذا التعريف هي مقتبسة من المذهب السلوكي . فالمثير التحضيري هو مثير يؤثر ويعدل في استجابة مثير آخر ، هكذا مثلاً تزداد قفزة الفئران ارتفاعاً عند صدمة كهربائية إذا ما سبقها صوت الجرس على أنه مثير تحضيري . والتهيؤ للاستجابة disposition to respond هو حالة يوجد فيها الكائن العضوي في ظرف ما بحيث أنه عند حصول شروط إضافية تتحقق الاستجابة المناسبة ؛ مثال ذلك حال الكلب الذي

(١) ص ١٠ .

يستعد للأكل عند سماعه إشارة معهودة لهذا الغرض . أما أسيرة الاستجابات فهي فئة من متتابعات استجابات تنجم عن موضوعات مثيرة متجانسة وتنتهي عند هذه الموضوعات .

بواسطة التعريف المذكور ، استطاع مورس أن يتجاوز المفهوم السلوكي الساذج للعلامة ، الذي كان يتطرق من أن العلامة هي مشيرات مباشرة تستدعي استجابات شبيهة بالاستجابات الناجمة عن الموضوعات التي تدل عليها العلامات . وهذا ما أتاح له أن يتخلص من مشكلة تفسير التباين الحاصل بين الاستجابة للعلامة الدالة على شيء ما والاستجابة لهذا الشيء نفسه . إذ أنه مثلاً ، قد تختلف ردة فعل التلامذة تجاه لفظة « المعلم » والمعلم ذاته .

على ضوء المفهوم الجديد ، يعيد مورس تعريف المصطلحات الأساسية التي تدخل في عملية التسويم . فالكائن العضوي الذي يعتبر شيئاً ما بمثابة علامة يسمى « معبراً » ، وتنبؤُهُ للرد بمتابعة من الاستجابات من أسرة سلوكية معينة يسمى « تعبيراً » ، والأمر الذي يجعل ممكناً انجاز المتتابعة من الاستجابات يسمى « المرجع » أو « المرجوع إليه » denotatum . أما الشروط التي يجب تحققها لتسمية شيء ما « مرجعاً » ، فيطلق عليه مورس بدلاً من مصطلح الـ designatum ، الذي ترجمناه بالمدلول ، اسم الـ significatum أي ما يمكن تخصيصه بكلمة « معنى » . فالعلامة تعني أو تقصد معنى .

بالإضافة إلى ذلك يميز مورس بين حامل العلامة sign vehicle وهو الحاصل المادي العيني الذي يقوم بدور العلامة ، وأسرة العلامة sign family وهي سلسلة أو مجموعة من حوامل العلامة تنطوي على المعنى نفسه بالنسبة للمعبر .

إليك توضيحاً لهذه المصطلحات بالنسبة للمثل الآتي : عابر سبيل يوقف أحد سائقي السيارات وينبهه إلى أنه على مسافة ما ثمة

جرف ترابي يسد الشارع ، إثر ذلك يستدير السائق باتجاه طريق آخر . فالسائق هو المُعَبِّر ، والكلمات التي وجهها له عابر السبيل هي حامل العلامة ، والواقع بأن الشارع مسدود بجرف ترابي هو المرجوع إليه ، وفي حال كذب عابر السبيل يشكل المقصود المزعوم مجرد معنى significatum ، وما يثيره هذا المعنى في المعبر من ترقب واستدارة هو التعبير .

في الكتاب الأخير « المعنى والمغزى » ينظر مورس إلى عملية الدلالة أو التسويم (سو) على أنها علاقة (حا) خماسية بين الحدود : ع ، م ، ت ، ن ، ق :

سو < حا (ع ، م ، ت ، ن ، ق)

حيث ع تُحدث في م تهيؤاً للاستجابة بطريقة ما ت إلى نوع معين ن من الموضوعات ، عند توفر شروط ما ق . ففي حال وقوع هذه العلاقة ، تكون ع العلامة ، وم المعبر ، وت التعبير ، ون المعنى ، و ق السياق context . ففي مثل النحلة التي تجد الرحيق وتعود إلى القفير ، لترقص بطريقة تُرشد بقية النحل إلى مصدر الغذاء ، يشكل الرقص العلامة ، وبقية النحل المتأثر بالرقص المعبران ، وتهيؤه للاستجابة على نحو ما بسبب الرقص هو التعبير ، ونوعية الشيء الذي يستعد النحل أن يقوم بفعل ما تجاهه هو المعنى ، ووضع القفير هو جزء من السياق الحالي .

مما يُلفت الانتباه في التعريف الجديد للتسويم هو أن المعبر والتعبير يدخلان فيه كحدين منفصلين . كما أن مفهوم السياق يظهر لأول مرة ضمن عملية الدلالة ، مما يتيح التطرق ، ولو بصورة غير مباشرة ، للبعد المبنوي للعلامات ، إذ أن السياق الذي تظهر فيه العلامة قد يحتوي على علامات أخرى . ناهيك عن أن مفهوم السياق بحد ذاته هو تنمة مهمة لسائر العناصر ، بل إن له قوام خاص من حيث أنه ينطوي عليها جميعاً .

٢ - مستويات التسويم

لا ريب أن الجزء الأهم والأنجع من نظرية العلامات عند مورس هو الذي يجري فيه التمييز بين ثلاثة مستويات سيميائية يشكل كل واحد منها فرعاً خاصاً ومحددأ من علم السيمياء .
انطلاقاً من الموضوعات الرئيسية لعلاقة التسويم أي حامل العلامة والمدلول والمعبر ، يحاول مورس أن ينتزع ثلاث علاقات ثنائية أخرى .

فالعلاقة القائمة بين العلامة والموضوع الذي تنطبق عليه العلامة يشكل المستوى الدلالي semantical للتسويم . وبالتالي يسمى المجال الذي يبحث في هذا المستوى « علم الدلالة » Semantics .

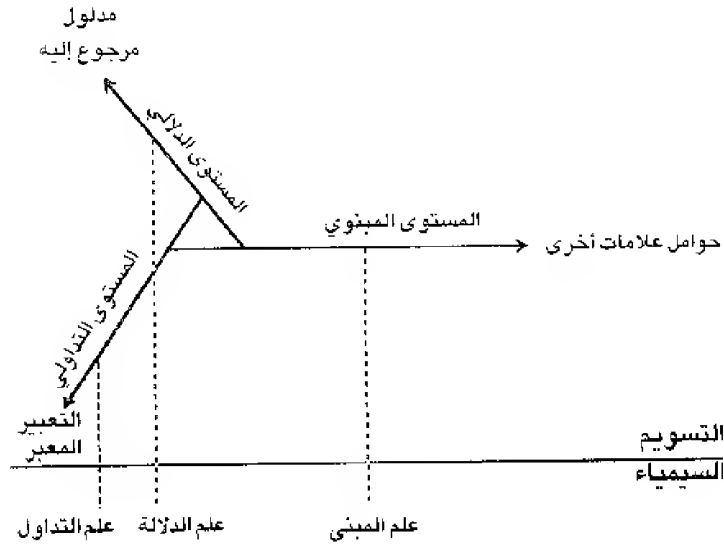
والعلاقة بين العلامة والمعبر تشكل المستوى التداولي Pragmatical للعلامة . وعليه يسمى العلم الذي يبحث في هذا المستوى « علم التداول » Pragmatics .

وأخيراً يحصي مورس العلاقة الصورية التي تحصل بين العلامات نفسها ، كعلاقة الكلمات بعضها ببعض داخل الجملة .
والحال أنه ، من مجرد تعريف التسويم كما يرد في كتاب « أسس نظرية العلامات »^(١) ، يستحيل على مورس أن ينتزع هذه العلاقة .
إذ أن هذا التعريف ، الذي يأخذ بعين الاعتبار الاستعمال الشائع لمفهوم العلامة ، لا يمنع من إمكانية وجود علامة منفردة خارجة عن أي نسق من العلامات . لكن ، بما أنه من الناحية التجريبية يصعب وجود مثل هذه العلامات الفردية التي لا ترتبط بأية علاقة مع علامات أخرى من أي نوع كانت ، كان لابد من إقامة مستوى ثالث للتسويم

(١) راجع : صص ٦ - ٧ .

يقوم على علاقة العلامات بعضها ببعض . هذا المستوى يسمى « المستوى النحوي » أو أيضاً « المستوى المبني » syntactical للتسويم . والبحث فيه يسمى « علم المبني » Syntactics .

التفريع المذكور يجمله مورس بالتصميم الآتي :



للدلالة على العلاقات القائمة على المستويات الثلاثة ، يقترح مورس المصطلحات التالية، فعلى المستوى المبني يُقال للعلامات أن بعضها يستلزم^(١) implicates الآخر . وعلى المستوى الدلالي ، يُقال أنه تدل على ... designates ، وترجع إلى أو تُحيل على

(١) لاحظ أن كلمة « استلزم » ، التي تستعمل عادة كتردفتها الانكليزية implicates بمعنى مهمل يشمل كل المستويات ، يقتصر استعمالها هنا على المستوى المبني . وهي توافق ما خصصناه في مؤلفاتنا السابقة بالاشتقاق والاستنباط .

denotes . وعلى المستوى التداولي بأنها تعبر عن ... expresses .
فهكذا مثلاً كلمة « طائر » تستلزم قولنا « حيوان ذو أجنحة ... » ،
وتدل على النوع الذي هو الحيوان المعروف ، وترجع إلى الأفراد
التي تنطبق عليها ، وتعبّر عن المعبر الذي يتلقى الكلمة .

١ - ٢ علم المبني Syntactics :

إن علم المبني ، من حيث هو « دراسة العلاقة المبنوية القائمة
بين العلامات ذاتها ، بغض النظر عن علاقات العلامات إلى
الموضوعات أو إلى المعبرين »^(١) كان ومازال أكثر فروع السيمياء
تطوراً ورسوخاً . وذلك يعود ، كما يشرح مورس ، إلى اهتمام مفكري
الاغريق من منطقة وعلماء هندسة بالاستدلال وبالنسق
الاستنباطي . فمثل هذه الأبحاث كان لابد لها أن تؤدي إلى دراسة
العلاقات بين تراكيب محددة من العلامات داخل اللغة . ولا ريب أن
لايبنتز هو أول من استطاع أن يصل ، إنطلاقاً من اعتبارات لسانية
ومنتطقية ورياضية ، إلى تصور منهج صوري عام يُعنى بتكوين
العلامات واستنباط بعضها من البعض الآخر . وقد لقي هذا المنهج
امتداداً واسعاً في المنطق الرمزي الحديث بفضل جهود بول وفريجه
وبيانو وبيرس وراسل ، بحيث أنه مع المبني المنطقي لكارناب بلغت
نظرية العلاقات المبنوية أعلى درجة من الإحكام والاتقان .

إن المبني المنطقي logical syntax يُهمل كلياً ما أسمىناهما
بالمستويين الدلالي والتداولي للتسويم ، ليحصر شغله في البنية
المنطقية النحوية logico-grammatical ، أي في مبني عملية
التسويم . بحسب هذه النظرة تصبح اللغة أية مجموعة من العناصر
يرتبط بعضها ببعض استناداً لصنفين من القواعد ، هما : قواعد
الصياغة ، وهي تحدد التراكيب الجائزة من عناصر المجموعة ،

(١) انظر : المرجع ذاته ، ص ١٢ .

أعني القضايا . وقواعد التحويل ، وهي تحدد القضايا التي يمكن استنباطها من قضايا أخرى .

بالرغم من الأهمية التي تُعزى إلى المبنى المنطقي ، فلا يمكن مساواته بعلم المبنى ككل . إذ أنه يقصر أبحاثه النحوية على نمط من التراكيب المتعارف عليها في العلوم الجازمة ، ويغض النظر إجمالاً عن سائر التراكيب الانشائية كجمل الأمر والتمني والعقود السخ . لذلك كان من مهمة علم المبنى أن يؤدي حساباً عن كل التراكيب المستعملة في اللغات العادية . هذا بالفعل ما أنجزه تشومسكي في النحو التوليدي والتحويلي متبنياً صنفَي القواعد التي وضعهما كارناب ، أي قواعد الصياغة وقواعد التحويل .

بالإضافة إلى ذلك ، يشدد مورس على أنه لا بد لعلم المبنى بالمعنى الشامل أن يعالج أنماط التراكيب غير اللفظية ، كالتراكيب الداخلة في مجال الفنون التشكيلية وغيرها .

إلا أن مشروع مورس لإقامة علم المبنى العام يبقى ناقصاً ، ذلك أن هذا العلم يقتصر عنده على المركبات . فلا مجال في علم المبنى للبحث في المركبات وخصائصها . والحال أن اللسانية الحديثة منذ سوسير وبلومفيلد لم تأل جهداً لاستقصاء هذا المجال فالأبحاث المندرجة تحت علمي الصوتيات phonetics واللفظيات phonologie وجهت اهتمامها لدراسة العلامات اللسانية الفردية : فعلم الصوتيات يتطرق إلى كل حيثيات التحقق المادي للعلامات ، وعلم اللفظيات يحاول تعيين وتصنيف العناصر التي تقوم عليها الألفاظ المفردة . وقد أحدثت هذه الدراسات تأثيراً كبيراً على الأبحاث المتعلقة بالعلامات غير اللسانية .

لاشك أن نقصان مثل هذه الفروع ضمن علم المبنى العام عند مورس ، يرجع إلى أن السيميائ منوطه عنده بالسلوك التسويمي ، وبالتالي منوطه بالنص الظاهر في هذا السلوك ، وليس باللفظة المفردة خارج الاستعمال الدلالي ، كما هي الحال عند سوسير .

٢ - ٢ علم الدلالة :

يعالج علم الدلالة « علاقة العلامات بمدلولاتها ، وعليه بالموضوعات التي ترجع أو يمكن أن ترجع إليها المدلولات »^(١) . من الظاهر أن هذه العلاقة هي غير بسيطة ، لأن أول ما تقصده العلامة هو المدلول ، ومن ثم المرجوع إليه إن وجد .

برأي مورس ، أن علم الدلالة ، بالرغم من الوعود الكبيرة التي قدمتها محاولات السلوكيين بالنسبة إلى تحديد الشروط الحالية التي بواسطتها يجري استعمال العلامات ، وبالرغم من المساهمات التي شاركت بها محاججات المناطق أمثال كارناب ورايخنباخ وتارسكي ، لم يستطع بعد أن يبلغ مرتبة الوضوح والمنهجية التي عرفتها بعض أجزاء علم المبنى . ومَرَّةً ذلك إلى أن عرضاً دقيقاً لعلم الدلالة يفترض وجود علم مبنى شديد التطور . فالكلام عن العلاقة بين العلامات والأشياء التي تدل عليها يتطلب سابق تحقق للغة علم المبنى وللغة الشيئية thing-language ، أي اللغة التي تتناول الأشياء . هكذا مثلاً ، في قولنا « سمير » يدل على أ ، الذي هو عينة من جملة ما في لغة علم الدلالة ، العلامة « سمير » هي مصطلح من اللغة الفوقية metalanguage يرجع إلى العلامة « سمير » التي هي علامة من اللغة الشيئية . وأما « أ » فهو مصطلح من اللغة الشيئية إلى شيء خارجي . وأما كلمة « يدل على » فهي مصطلح من علم الدلالة ، إذ أنها علامة وصفية دالة على علاقة بين علامة ما وموضوعها . وبالتالي ، فعلم الدلالة يفترض وجود علم المبنى ، لكنه يتنزه عن علم التداول .

يعتمد علم الدلالة على القواعد الدلالية semantical rule ، فالقاعدة الدلالية هي التي تحدد عند أية شروط يمكن تطبيق العلامة

(١) المصدر ذاته ، ص ٢١ .

على شيء object أو حال ما situation . وصياغتها العامة هي كالآتي :

إن حامل العلامة « سد » هو الذي يدلّ على الشروط أ ، ب ، ج... التي يصح بها تطبيقه. فإن حقق موضوع أو حال ما الشروط المطلوبة ، يكون عندئذ مرجعاً denotatum لـ « سد » .
بالطبع ، مثل هذه القواعد غير مصرّح بصياغتها من قبل الذين يستعملون العلامات ، بل إنها تجري تلقائياً بمثابة عادات سلوكية ، بحيث أنه يحصل تطبيق بعض العلامات على بعض الحالات فقط .

٣ - ٢ علم التداول^(١)

هو العلم الذي يتناول بالبحث علاقة العلامات بالمعبرين ، أو أيضاً هو « الجزء من السيمياء الذي يهتم بأصل العلامات واستعمالاتها وتأثيراتها على السلوك المختص بذلك »^(٢) . وبما أن معظم المعبرين عن العلامات ، إن لم يكن كلهم ، هم كائنات حية ، يمكن التعريف عن علم التداول بأنه العلم الذي يعالج كل الظواهر النفسية والبيولوجية والاجتماعية التي ترد في عملية التسويم .
منهجياً ، يفترض علم التداول كلاً من علمي المبني والدلالة ، كما أن هذا الأخير يفترض العلم السابق . ذلك أن البحث في علاقة

(١) من الواضح أن مصطلح « pragmatics » الذي ترجمناه بعلم التداول مشتق من كلمة « pragmatism » التي تعني المذهب الذرائعي المعروف في الفلسفة . وتفسير ذلك ، كما يقول موريس ، أن الذرائعية هي أكثر مذهب ركز انتباهه على العلاقة بين العلامة والذين يستعملونها ، وأكد على أهمية هذه العلاقة في فهم النشاط الذهني . مع ذلك ، من حيث أن « pragmatics » هو مصطلح خاص بالسيمياء ، يجب عدم الخلط بينه وبين « pragmatism » وبالشالي ، يجب أيضاً التمييز بين الصفتين المضافتين إلى كل منهما ، وهما pragmatic أي التداولي و pragmatic أي الذرائعي .

(٢) Signs, Language and Behavior, p.326.

العلامات بالذين يستعملونها يتطلب معرفة علاقة العلامات بعضها ببعض وعلاقتها بالأشياء التي ترجع إليها.

يرتكز علم التداول على القواعد التداولية pragmatical التي من شأنها أن تضع الشروط التي يجب أن تتوفر في المعبرين حتى يصح أن يكون حامل العلامة علامة . بالطبع أية قاعدة تشكل عند الاستعمال نمطاً من السلوك ، وبهذا المعنى يوجد مركب تداولي في كل القواعد . لكن في بعض اللغات ثمة حوامل للعلامة تخضع لقواعد تداولية خاصة . فعبارات التعجب مثل « آه ! » ، والأوامر مثل « تعال إلى هنا ! » ، والعبارات مثل « صباح الخير » ، وغيرها من الوسائل البيانية لا ترد إلا عند توفر شروط معينة عند مستعلمي اللغة . يجوز القول ان العلامات المذكورة تعبر عن هذه الشروط ، لكن لا يمكن القول انها ، على مستوى التسويم المستخدمة فيه ، تدل عليها أو ترجع إليها . فتقرير مثل هذه الشروط بالنسبة لعلامات ما ، يشكل ، بقدر ما يستحيل رده لقواعد المبني والدلالة ، قواعد تداولية خاصة بالعلامات المذكورة.

من المصطلحات الأساسية التي يختص بها علم التداول « المعبر » ، « التعبير » ، « العرف » أو « الاتفاق » convention عند تطبيقه على العلامات ، « الأخذ بالاعتبار » ، « التحقق » verification ، والفهم . أما المفاهيم الأخرى الخاصة بالسيمياء كالعلامة واللغة والحقيقة أو الصدق والمعرفة فلها كذلك مقومات تداولية.

إن التفرع الثلاثي للسيمياء ، كما تصوره مورس ، هودون ريب من الطروحات المنهجية التي كان لها تأثير كبير ليس على السيمياء فحسب ، بل على مجالات أخرى.

لكن هذا التصور ما زال يشوبه بعض النقصان والغموض . فعلم المبني يفتقر إلى أبحاث في مقومات العلامات الفردية ذاتها .

وعلم الدلالة يحتاج إلى التمييز فيه بين قسمين : علم الدلالة الخارجية وعلم المعنى بالمفهوم الضيق . أما علم التداول ، فمجاله مشتت غير محصور . كذلك من الصعب القبول بالحدود التي رسمها مورس بين الفروع الثلاثة ، إذ أن العلاقات المبنوية ذاتها لا تخلو من وظيفة تداولية ، كما أن الفصل بين علم الدلالة وعلم التداول لا يمكن الأخذ به في معظم الحالات .

٣ - تصنيف العلامات

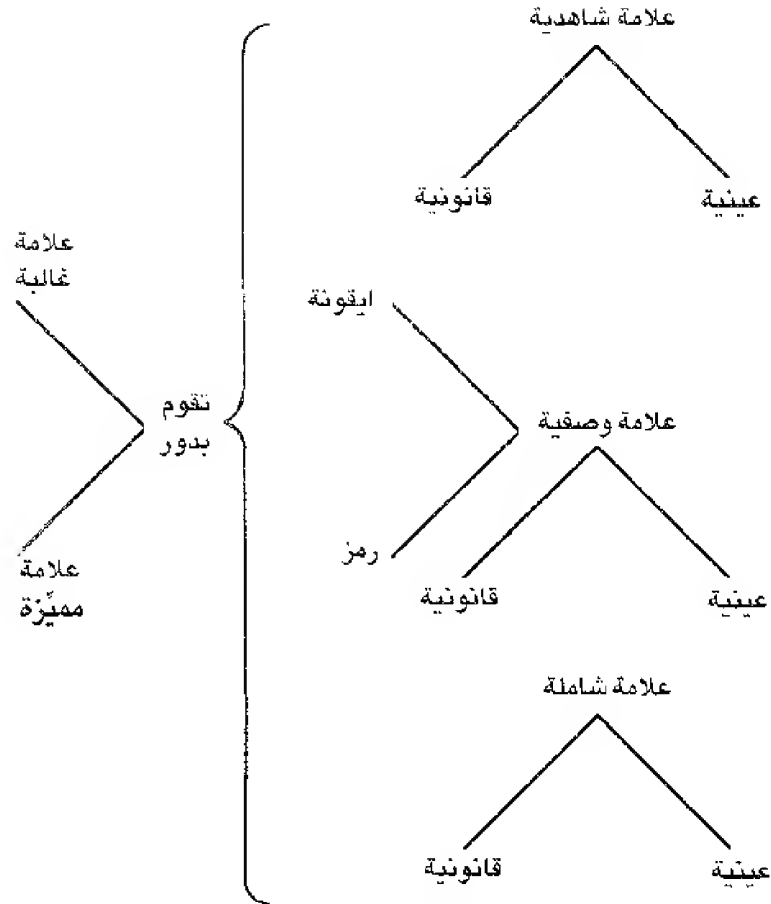
في كتاب « أسس نظرية العلامات »^(١) ، يميز مورس أصنافاً متنوعة من العلامات ، متأثراً بمصطلحات بيرس . من جهة ، يميز المؤلف بين ثلاثة أنماط من العلامات هي : الشاهد أو أيضاً العلامة الشاهدية indexical sign ، العلامة الوصفية characterizing والعلامة الشاملة أو الكلية universal ، معتمداً لذلك على مدى استلزام كل نمط لتوقعات expectation مخصوصة ، أو بتعبير ما صدقي على كمية الافراد المندرجة تحت مفهوم العلامة . فالشاهد هو العلامة التي تشير إلى موضوع فردي كما في قولنا « هذا » عند الإشارة بالاصبع إلى فرد معين . مثل هذه العلامة تثير العدد الأقل من التوقعات التي تخص أوصاف الشيء . والعلامة الشاملة هي التي ترجع إلى كل شيء مثل عبارات « أمر ما » و « الشيء » و « الموجود » ، وهي بالتالي لا تحمل على توقعات مخصوصة . أما العلامة الوصفية فهي التي تحيل على أمور كثيرة مثل لفظة « حيوان » أو « حصان » . هذه العلامة تُحدث مجموعات معينة من الاستجابات . وبالطبع ، قد يختلف مدى التوقعات بين الالفاظ الوصفية بحسب تدرجها في التجريد ، فكلمة

(١) راجع صص ١٧ - .

« حصان » مثلاً تثير توقعات أكثر مما تثيره كلمة « حيوان » .
إذا كانت العلامة الوصفية تمتلك في ذاتها بعض خواص الشيء
الذي ترجع إليه ، تُسمى « أيقونة » icon ، وإلا فهي الرمز
symbol . هكذا مثلاً ، الصورة الفوتوغرافية والخرطة الفلكية
والرسوم البيانية الكيميائية هي من باب الأيقونات . أما كلمة
« صورة » وأسماء الأفلاك والعناصر الكيميائية فهي من باب
الرموز .

على كل واحد من أنماط العلامة الثلاثة ، أي الشاهد والعلامة
الوصفية والعلامة الشاملة ، يُجري مورس بدوره تفرع بيرس
الثنائي إلى علامة عينية sinsign وعلامة قانونية legisign . فالعلامة
العينية هي أمر مخصوص فردي يقوم مرة واحدة بدور العلامة ، مثال
ذلك كتابة كلمة « بيت » كما ترد في هذا السطر وبهذا النوع من
الخط ، بينما الشكل المشترك الذي يجعل من الكلمة المذكورة كلمةً
واحدةً مهما تنوعت لفظاً وكتابةً فهو العلامة القانونية .

من جهة ثانية ، وفقاً لمعيار آخر ، يصنف مورس العلامات
فئتين : العلامات الغالبة dominant والعلامات المميّزة specifier .
مع العلم أن كل فئة هي غير مطلقة بل تتعين بالقياس إلى الفئة
الأخرى . فما هو علامة غالبة بالنسبة إلى بعض العلامات المميّزة ،
قد يكون بدوره علامة مميّزة بالنسبة إلى علامة غالبة أعم منه . هكذا
مثلاً ، تجعل كلمة « أبيض » مدلول « الحصان » أكثر خصوصية ،
بينما كلمة « حصان » قد تكون علامة مميّزة بالنسبة إلى
« حيوان » . كذلك يتعلق تعيين فئة العلامة بالظروف الراهنة ، فإن
كانت عادةً لفظة « حصان » في الجملة « هذا الحصان يركض »
تشكل العلامة الغالبة ، ففي حال وجود عدة أحصنة ، أحدهم فقط
يركض ، يكون الفعل « يركض » هو العلامة الغالبة .
كل هذه التصنيفات التي يوردها مورس ، يمكن إجمالها
بالتصميم الآتي :



٤ - ضروب المعاني وطرق استعمال العلامات

من المتعارف عليه أن العلامات تختلف فيما بينها بنوعية المعاني التي تحتملها . والدليل على ذلك التباين بين نوعية معاني الكلمات مثل « أسود » و « حبذا » و « ينبغي » .
يميز مورس أربعة ضروب من المعاني ، ثلاثة منها يعتبرها

أساسية ، هي : المعنى التبييني designative ، المعنى التقديري أو الاعتباري appraisive والمعنى الطلبي prescriptive . هكذا مثلاً ، قولنا « فوقِ التلة بيت » يبيّن واقعاً ما ، وقولنا « ما أجمل هذه الفتاة ! » ينم عن تقدير للفتاة ، بينما الأمر « إذهب عني ! » يتطلب من المعبر أن يقوم بفعل ما .

أما الضرب الرابع من المعاني فهو ما يطلق عليه مورس في كتابه « العلامات واللغة والسلوك » اسم « المعنى النظمي » Formative signification . بهذا المعنى تختص العلامات المنطقية والنحوية أمثال « ليس » ، « أو » ، « إذا ...ف » ، الأقواس ، التنوين في ظرف الحال كقولنا « سريعاً » الخ .

في كتاب « المعنى والمغزى » ، يقترح مورس تفسير ضروب المعنى الرئيسية على ضوء الأطوار الثلاثة للفعل ، كما ترد في تحليل جورج ميد G. H. Mead . فينظر هذا العالم الاجتماعي ، عند حصول دافع ما ، يمر الفعل الناجم عنه في ثلاثة أطوار : طور الإدراك الحسي perceptual ، طور المعالجة manipulatory ، وطور الاستهلاك أو الاستنفاد consummatory . فعلى الكائن العضوي أن يدرك أولاً الخصائص المهمة للمحيط الذي يفعل فيه ، ومن ثم عليه أن يتصرف تجاه الأشياء بطريقة ملائمة لإشباع دوافعه ، وإذا ما تيسر له ذلك يبلغ آخر طور من النشاط وهو طور استنفاد الفعل . وبما أن الفعل والموضوع هما متضايقان عند ميد ، يُضفي هذا أيضاً خصائص المسافة والمعالجة والاستهلاك على الموضوع ذاته .

إذا اعتُبرت العلامات من منحنى سلوكي ، كان بالإمكان ربط معانيها بأطوار الفعل الثلاثة ، وبالتالي إظهار ثلاثية من الأبعاد فيها . من المفترض أن تمتلك كل علامة هذه الأبعاد الثلاثة ، لكن في الواقع قد تتغلب فيها بعض الأبعاد على الأخرى ، بل قد تضعف بعض الأبعاد بحيث أنها تصبح بحكم المعدومة .

استناداً إلى ما سبق ، تكون العلامة تبينية بقدر ما تدل على خصائص المحيط أو الفاعل القابلة لأن تُدرك بالحس ، وتكون تقديرية بقدر ما تدل على الخصائص الاستهلاكية للموضوع أو الحالة ، وأخيراً تكون طلبية بقدر ما تدل على كيفية ردة الفعل تجاه الموضوع أو الحالة ، بحيث يتم اشباع الدافع . بهذا المفهوم ، تكون بالدرجة الأولى كلمة « أسود » تبينية ، و « حبذا » استهلاكية ، و « ينبغي » طلبية . بالطبع ، يجب الاعتراف بأهمية السياق في تعيين ضروب المعنى . ففي سياق ما ، قد يغلب على كلمة « أسود » الطابع التقديري أو الطابع الطلبي ، وعلى عبارة « حبذا » الطابع التبييني أو الطلبي ، وعلى لفظة « ينبغي » الطابع التبييني أو التقديري . إذ لا يمكن الجزم ، بمجرد ملاحظة اللفظة ، بغلبة ضرب من الضروب عليها . بل ذلك يتطلب استقصاء البحث في فعل مخصوص ضمن ظروف مخصوصة .

إلى جانب الضروب المذكورة التي تقوم على الفروق بين المعاني ، يمكن اعتبار التباين بين العلامات بالنسبة إلى التأثير الذي تحدثه في المعبرين . بهذا الشأن ، يميز مورس أربعة طرق استعمال للعلامات uses of signs هي : الاستعمال الإخباري informative ، والاستعمال التقييمي valuative ، والتحريض أو التحضيضي incitive ، وأخيراً التنسيق systemic . وفي الحقيقة ، قد تستعمل العلامات لإخبار فرد ما عن خصائص الأشياء والأحوال ، أو لإحداث ميل أو نفور فيه تجاه الأشياء والأحوال ، أو لحثه على إجراء فعل ما ، أو لتنسيق التهيؤات السلوكية الناجمة فيه عن علامات أخرى .

وإن كانت ، بوجه العموم ، تُستعمل العلامات التبيينية للإخبار ، والعلامات التقديرية للتقييم ، والطلبية للتحريض ، والتنظيمية للتنسيق ، إلا أنه ليس بين ضروب المعاني وطرق الاستعمال من

تساقض ضروري. هذا ما حدا بمورس في كتاب «العلامات واللغة والسلوك» إلى تصنيف شامل للأقوال ، معتمداً على مزج ضروب المعاني بطرق الاستعمال ، كما يفصل ذلك الجدول الآتي :

طرق الاستعمال الضرورية المعنى	إخباري	تقييمي	تحريضي	تنسيقي
تبيني	علمي	خيالي	شرائعي حقوقي	كوزمولوجي
تقديري	أسطوري	شعري	خُلقي	نقدي
طَلبي	تكنولوجي	سياسي	ديني	دِعاوي ^(١)
نظمي	منطقي رياضي	بلاغي	نَحوي	ماورائي

ما يميز الأبحاث السيميائية الراهنة ، كما يقول مورس ، هو توسع اهتماماتها لتشمل كل اصناف العلامات والأقوال . فيعد أن كان شغل الفلاسفة في أوائل القرن العشرين يقتصر على تقصي أبعاد المعاني في مجال العلوم والرياضيات فحسب ، تزايد الاعتبار اليوم للمكانة التي تأخذها العلامات في طوري المعالجة والاستهلاك اللذين يمر بهما الفعل ؛ فانصبحت الجهود على دراسة الطقوس والاساطير والاخلاق والعادات والشرائع والفنون والديانات الخ ...

(١) propagandistic أي ما هو للدعاية .

V

العلامة ونظرية الأنفال

١ - الفعل

ينطلق ترابانت من مفهوم أساسي هو مفهوم الفعل Handlung . فالفعل يتميز عن سائر الأحداث التي تجري في العالم ، بأن الانسان من حيث هو فاعل « يتبع غايات معينة يختارها هو لنفسه (خلافاً لما هو الحال عند الحيوانات العجم التي تُسَيَّر من الطبيعة »^(١) . هكذا مثلاً ، عند البناء والحياسة والتنزه وقيادة السيارة والتكلم والغناء والقتل والسرقعة الخ ... ينجز الانسان أفعالاً تتوخى غايات متنوعة . انما هذا لا يعني أن كل ما يصدر عنه هو فعل ، فقد يخضع لأحداث طبيعية تُفرض عليه فرضاً كالنوم والتنفس والاحمرار والمرض والموت مثل كثير من الحيوانات . لا شك بأن الفعل ، بالمعنى المذكور ، يغاير أيضاً السلوك غير القصدي الذي يمكن أن يصدر عن الانسان . فالفعل يصح طلب المسؤولية عنه . وأحياناً ما يلتزم صاحب الفعل ، تجاه القانون والعرف الأخلاقي ، بأن يقدم التعليلات التي تدبر فعله ، وإلا تعرض للعقوبة .

(١) Kamlan-Lorenzen, Logische Propädeutik, s. 53.

على غرار الاحداث الفردية التي ليست سوى عيّنات للحدث
المجرد ، ليست الافعال الفردية التي تجري سوى نماذج لنمط
الفعل ، أو لما تسميه مدرسة إرلنغن Erlangen باسكيمة الفعل
Handlungsschemata . فقتل فلان لفلان في زمان ومكان
مخصوصين هو عينة لاسكيمة الفعل : / القتل / . وقيادتي اليوم
للسيارة هي عينة لاسكيمة الفعل : / قيادة السيارة / حيث
الحاصرتان / ... / تشيران إلى الاسكيمة .

٢ - الفهم

إسكيمات الفعل هذه إما أن نكتسبها كعادات فعل
Handlungsgewohnheit نستطيع إنجازها ، أو أننا على الأقل
نتلقن ، بواسطة عملية التعلم ، تمييزها من حيث هي اسكيمات فعل ،
ونستطيع بالتالي فهمها .

بالفهم Verstehen ، يعني ترابانت اسناد حدث حالي ، من
حيث هو عينة من اسكيمة فعل ما ، أي من عمل انساني متجدد
الوقوع وذي غاية معينة ، إلى اسكيمة الفعل هذه . هكذا مثلاً يتعلم
الصبي فهم الحياكة : فهو يسأل جدته « ما الذي تفعلين ؟ » ، وإذا
تجيبه الجدة « حياكة » ، يكون قد تعلم إسناد اسكيمة الفعل
اللفظي « حياكة » إلى الحدث الذي يعاينه . لكن هذا لا يكفي لفهم
الحياكة ، فلا بد للصبي أن يتابع سؤاله عن غاية هذا الفعل بقوله
« ماذا تبتغين بالحياكة » ، فعندما تجيبه الجدة « صُنع كنزة أو
كلسات أو شرشف الخ ... » يكون عندها قد فهم معنى الحياكة .

وعلى العموم ، إن فهم الافعال Handlungen- Verstehen ، أو
بالاختصار الفهم ، هو نمط خاص من الأفعال الانسانية ، يتم به
التمييز بين الأحداث الانسانية التي تستهدف غاية ما ، عن غيرها
من الاحداث . أما إدراك الأحداث وأمور الطبيعة التي تعوزها

الغائية ، فيخرج ، بنظر ترابانت ، عن الفهم . ويختص عنده باسم التعرف Erkennen .

ان الحاجة إلى أفعال الفهم تنجم أساساً عن كون الناس يريدون تنظيم حياتهم كمجتمع . ففهم حدث ما على انه فعل يعني ربطه بالمقاصد والغايات التي يقوم عليها المجتمع الانساني .

٣ - الفعل الدلالي

Zeigehandlung

انطلاقاً من أن الفعل هو حدث ذو غاية ، وان الفهم هو فعل يتم به إسناد عيّنة من اسكيمة فعل ما إلى إسكيمة الفعل هذه ، يحدد ترابانت مجموعة خاصة من الأفعال غايتها إحداث الفهم في إنسان آخر ، أي إفهامه أمراً ما . هذه الأفعال يُطلق عليها اسم « أفعال الإفهام » Verständigungshandlungen أو « الأفعال الدلالية » Zeigehandlungen أو « الأفعال السيميائية » Semiotische Handlungen أو باختصار اسم « العلامة » Zeichen^(١) . من قبيل ذلك : التكلم ، الإيماء ، التأشير الضوئي ، الدق على جرس الباب الخ فالفعل الدلالي اذن هو فعل غايته جعل الآخر يُسند عيّنة إلى اسكيمة الفعل .

بما أن الغاية من هذه الافعال هي الإفهام أو التفهيم ، فميزتها الأولى هي التوجه للآخرين لطلب المشاركة منهم، أي هي أفعال تعاونية kooperatif . وعلى وجه التحديد ، يقوم التعاون هنا في ان المتلقي يسند إلى الفعل الدلالي الحالي الصادر عن المرسل اسكيمة فعل سبق للمتلقي اكتسابها بواسطة التعلم .

(١) انظر : المرجع ذاته ، ص ٥٧ .

كذلك ، من ميزات الأفعال الدلالية انها تَبْلُغ شيئاً ما ، اي تُعلم عن شيء ما ، وبالتالي هي ذات معنى semantisch . فمثلاً صفارة الإنذار تشير إلى غارة ، وبنق جرس الباب يعلن عن وجود قادم ما ، وهزة الرأس يميناً ويساراً تدل على النفي ، والتلفظ بالقول « سمير مريض » ينبيء عن أن سميراً مريض .

لا شك انه حتى يكون بالامكان فهم الأفعال الدلالية ، أي حتى يمكن ان تكون الأفعال تعاونية وذات معنى ، لا بد أن يوجد جامع مشترك بين اصحاب الاتصال ، هذا الجامع يتم اكتسابه بواسطة ما يطلق عليه ترابانت بوجه عام اسم « الاتفاق » Übereinkunft .

عادة ، يجري تمييز نوعين من الاتفاق : اتفاق صريح واعٍ نصطلح على تسميته بـ « التواضع » ، واتفاق شائع غير معروف الأصول نسميه مع ترابانت « التقليد » أو « العرف » Tradition . فالتأشيرات الضوئية الخاصة بقيادة السيارة هي ، مثلاً ، علامات من النوع الأول، إذ تم التواضع عليها بشكل صريح من قبل هيئة دولية معلومة ؛ وكذلك المفردات التي اصطلح عليها العلماء هي من هذا النوع . لكن معظم الألفاظ وكثير من الحركات ليست سوى علامات تقبلها مجتمع ما بالعرف والتقليد . ففي المجتمع الثقافي العربي ، مثلاً ، لم تحصل دلالة « أب » و « أم » على مسمياتها بناءً على اتفاق صريح ، ولا كذلك دلالة حركات الرأس على النفي والايجاب .

بالإضافة الى ما سبق ، قد يختلف شمول واتساع الاتفاق ، ان من حيث عدد الأشخاص وإن من حيث زمان ومكان الاتصال . فقد يقتصر على شخصين ، كما في حال اتفاق رجل ما مع امراته أنه عند حل ربطة عنقه في سهرة ما فهو يقصد الذهاب إلى البيت . وقد يحصل بين جماعة مخصوصة لزمن مؤقت ، مثلما هو واقع بالنسبة لكلمة سرٍ ما . وقد يعم مجتمع معين بجامع اللغة الواحدة ، بل قد

يشمل المجتمع الدولي بأسره كما هو حاصل بالنسبة للعلامات الشائعة في كل البلدان .

٤ - العلامات اللسانية

بوجه عام ، ليس من إشكال في تعيين وحدة الفعل الدلالي ، أي العلامة البسيطة ، بالنسبة للعلامات غير اللفظية . فالأمثلة /عَرَفَ النفير = «أهجم»/ ، / دَقَّ الجرس = «إفتح الباب»/ ، / إعطاء الضوء الأيمن = «أنا أستدير إلى اليمين»/ هي علامات بسيطة . لكن بالنسبة للألفاظ ، ثمة مشكلة عند البعض في تحديد وحدة الفعل الدلالي : فهل هي اللفظة المفردة أو الجملة أو النص . إن الاتصال اللفظي يتضمن عادة عدة ألفاظ بل عدة جُمل . صحيح أنه في بعض الحالات قد يقتصر الاتصال على ألفاظ مفردة كقولنا «نعم» و «لا» ، حال ذلك حال حركات الرأس للرفض والايجاب ، أو كإجابتنا على سؤال ما بكلمة . لكن تلك الألفاظ تفترض في الواقع كلمات أخرى محذوفة يتم بها القول .

إذا ما قابلنا بين الأفعال الدلالية غير اللفظية ومرادفاتها من الأفعال الدلالية اللفظية ، مثلاً بين دَقَّ الجرس وقولنا «إفتح الباب» ، نتحقق أن الأفعال اللفظية تتقبل الانقسام إلى علامات أصغر . فقولنا المذكور ينقسم إلى الكلمات /إفتح/ و /الـ/ و /باب/ ، بينما لا يصح ذلك في دَقَّ الجرس .

عند تعلم الأفعال الدلالية اللفظية ، لا ننطلق من الجُمل أو النصوص ، بل من الألفاظ المفردة بواسطة عملية الحَمْل Prädikation . فبواسطة الحمل ، نتعلم اسناد الألفاظ مفردة أو محمولات إلى الموضوعات الخارجية . هكذا مثلاً نتعلم في سياق حاليٍّ معين أن نُسند المحمول /سيارة/ إلى الشيء الذي هو سيارة ، والمحمول /أحمر/ إلى اللون الأحمر ، والمحمول /يضرب/

إلى الحدث الذي هو الضرب . لذلك ، بالنسبة إلى الأفعال الدلالية اللفظية ، تُعتبر اللفظة المفردة أو المحمول الوحدة الدلالية أو العلامة البسيطة . هذا لا يعني بالطبع أنه عند تعلم لسان ما نكتفي بتعلم المحمولات ، بل نحتاج أيضاً إلى تلقن القواعد التي يتم بها تركيب الألفاظ بعضها مع بعض حتى نتوصل إلى بناء الجمل والنصوص .

بالإضافة إلى قابلية الجملة ، وبالتالي النص ، إلى الانقسام إلى ألفاظ مفردة أي إلى علامات بسيطة ، وهو ما يسمى في اللسانية الحديثة بالتقطيع الأول première articulation : هناك إمكانية تقطيع ثان dextième articulation لدالات هذه الألفاظ إلى وحدات أصغر هي الفونيمات . فمثلاً يعود تركيب كلمة / إفتح / إلى الفونيمات /ء/ ، /ـ/ ، /ف/ ، /ت/ ، /ـ/ ، /ح/ . هذا التقطيع المزدوج للغة اللفظية هو ما يميزها عن سائر أنساق العلامات ، ويجعلها قادرة على التعبير عن كل المجالات . فمن العدد الضئيل من الفونيمات التي تستخدمها الألسن يمكن صياغة عدد كبير من الكلمات ، وبفضل قابلية تركيب الكلمات بعضها مع بعض لا تصعب صياغة أي تبليغ عن العالم .

٥ - العلامة والماركة

إن العلامة ، كما تم تحديدها هنا ، تختص بالأفعال ، وبالتالي بالأحداث الزمانية فقط . لكن الاستعمال الشائع لكلمة « علامة » لا يقتصر على ذلك ، بل إنه يُطلق أيضاً هذه الكلمة على الأشياء الثابتة المتحققة بكتبتها ، مثل إشارات السير ، أشرطة العسكر ، الأعلام والرايات ، النصوص الكتابية الخ ... فلتمييز هذه الأشياء عن الأفعال الدلالية ، يتبع ترابانت اقتراح مدرسة إيرلنغن^(١) بتسميتها

(١) أنظر . المرجع ذاته ، ص ٥٩ .

« ماركة » أو « دمغة » Marke .

لا شك أن غاية الماركات ، من حيث أنها تستدعي فهم الآخرين ، هي غاية الأفعال الدلالية نفسها ، لكن ، مع ذلك ، تختلف الماركات عن الأفعال الدلالية من جهتين : فمن جهة ، تتمتع الماركات بقوام دائم على غرار كثير من الأشياء كالمنازل والأشجار والسيارات ، فهي ليست أفعالاً وإنما مصنوعات Werke أي أفعال مجمدة . ومن جهة ثانية ، تُجيز الماركات ، لكونها أشياء دائمة ، التراخي أي التباعد في الزمان بين فعل المرسل الذي يصنع الماركة وبين فهم المتلقي ، خلافاً للأفعال الدلالية ، التي تتطلب تعاوناً فورياً بين المرسل حين يُجري فعل الدلالة وبين المتلقي حين يقوم بفعل الفهم . فهكذا مثلاً ، عندما يتكلم شخص ما ، يجب على المستمع أن ينجز معه في الوقت عينه فعل الفهم ؛ أما عندما يكتب أحد رسالة ، يكون عادة الشخص الذي يتلقى الرسالة في مكان وزمان مختلفين عن مكان وزمان المرسل .

بالطبع ، إن في كون الماركات أشياء ثابتة ومستقرة ما يتيح للأفعال الدلالية السيالة إمكانية البقاء . فهكذا تحفظ الكتابة الكلام العابر ، وهكذا تستطيع نصب السير أن تحل بصورة مستديمة محل اشارات الشرطي . كذلك ، تسمح الماركات ، للخاصية المذكورة ، بالتخلص من عبء تكرار الأفعال الدلالية نفسها ، فمثلاً ، الأرملة التي تشير إلى منع المرور تُغني عن شرطي سير يكرر الحركات أو الكلمات الدالة على ذلك ، والشارة التي يحملها بعض الأشخاص تعفيهم من أن يعلنوا في كل مناسبة عن رتبته أو مركزهم .

٦ - تفريع المجال السيميائي

من الواضح أن التمييز بين الماركة والعلامة يتيح إدخال تقسيم أساسي على المجال السيميائي . فبموجب هذا التمييز يتم الفصل

بين أفعال دلالية تتطلب تعاوناً مباشراً ، وأفعال دلالية يكون فيها التعاون غير مباشر ، وذلك بتوسط الماركة ذات القوام الثابت بين صانعها وبين المتلقي الذي يفهمها . تنتمي إلى الصنف الأول معظم العلامات الصوتية كالتكلم ودق الجرس وقرع الطبل وعزف النغير ، وكذلك المرثيات المتحركة مثل الحركات البدنية والإيماء ولغة البكم الصم الخ ... أما الأفعال الدلالية غير المباشرة فإنها تتوسل الماركات التي تنتمي بشكل أساسي إلى المبصرات مثل : الصور على أنواعها ، نصب السير ، الكتابة ، شارات الرتب ، نوطات الموسيقى ، الأعلام والرايات الخ ... لكنها قد تنتمي أيضاً إلى الملموسات كما هي حال كتابة العميان.

تجدر الملاحظة إلى أن التمييز المذكور لا يوقع حدوداً قاطعة بين القسمين من المجال السيميائي ، بحيث أن كل قسم يباين كلياً الآخر . فأحياناً ما تستعمل الماركات لفعل دلالي مباشر ، كما يحدث مثلاً عند تتبع الطلاب مباشرة ما يخطه الأستاذ على اللوح . وبالعكس ، إذ يمكن حفظ الأفعال الدلالية المباشرة بواسطة المصنوعات الموافقة لها ، كما تقوم بذلك الكتابة بالنسبة للكلام ، وكما تقوم به التسجيلات من صور وأفلام وشرائط صوتية بالنسبة للحركات والإشارات والأصوات.

على ضوء هذا التمييز الثنائي ، يمتحن ترابانت تفريع المجال السيميائي من حيث مادية الدال . إن تقسيم الدالات الشائع ، وفقاً لأعضاء الحس ، إلى مسموعات ومرثيات وملموسات ومشمومات ومذوقات يُفيد ولا شك في معرفة صلاحيتها العملية . فهكذا مثلاً ، بينما العلامات البصرية لا يمكن إدراكها إلا في الضوء وفي وضع جسماني معين ، يتيح الكلام الاتصال بمعزل عن هذه القيود . لكن هذا التقسيم بحسب أعضاء الحس يبقى ، بنظر ترابانت ، غير متجانس مع ترتيب العلامات من حيث هي أفعال . إذ أن الصنف

ذاته من المحسوسات قد يتوزع بين الأفعال الدلالية المباشرة والأفعال غير المباشرة . فالمبصرات قد تكون صوراً ثابتة وقد تكون حركة وإيماء . واللموسات قد تكون أفعالاً مباشرة ولكنها قد تدل بصورة غير مباشرة كما هي الحال في أبجدية العميان . وحتى المسموعات ، التي تُحسب على باب الأفعال المباشرة ، قد تأخذ أيضاً شكل الماركات ، كما هو حال الطنين الرتيب في السيارات الأميركية الذي يدل على أن حزام الوقاية لم يجرِ شده بعد .

لاشك أن ثمة ارتباطاً بين الفعل الدلالي ومادية الدال . إذ أن الذين يقومون بالفعل لابد لهم وأن يختاروا المادة الدلالية التي تلائم هدف الفعل . وعليه ، فالجانب المادي هو الذي يتحدد بالفعل وليس العكس .

٧ - جهات القصد الاتصالي

رأينا أن للفعل الدلالي غاية ذاتية هي استدعاء فهم المخاطب ، أي إبلاغه شيئاً ما . بالإضافة إلى ذلك ، لكل فعل دلالي غرض point خاص وراء هذا الإبلاغ . مثلاً ، عند قول الأب إلى ابنه « اغلق النافذة » ، لا يستوفي الأب الغرض من قوله بمجرد فهم الابن كلامه ، بل على هذا الأخير أن ينجز الفعل المطلوب . فالغرض من هذا الفعل الدلالي ، أي القول الطلبي ، هو تحقيق الفعل الموافق من قبل المطلوب منه . ثمة غرض مختلف يُقصد مثلاً من إبرام صيغة العقد ، فعندما يعلن البائع للمشتري « بعثك هذا العقار » ، لا شك أنه بهذا القول لا يكتفي بإبلاغ المشتري ذلك ، بل لا بد له أن يتصرف على أن العقار لم يعد له .

هذه الأغراض المختلفة تعود إلى أفعال مختلفة يتم إجراؤها في القول ، فجعل الابن يغلق النافذة هو غرض فعل الأمر ، والتنازل عن الملكية هو غرض فعل الاعلان أو التصريح . هذه الأفعال التي تُعرف

باسم الأفعال الداخلة في القول illocutionary act يطلق عليها ترابانت بوجه عام اسم « جهات القصد الاتصالي ».

إن مفهوم الأفعال الداخلة في القول هو من أهم موضوعات النظرية المعروفة بـ « نظرية الأفعال الكلامية »^(١). تعتمد هذه النظرية على تمييز ثلاثة أنواع فرعية من الأفعال تجري ضمن كل فعل كلامي :

١ - فعل التلفظ utterance act وهو النطق بكلمات منظومة بحسب القواعد.

٢ - الفعل القضوي propositional act ، الذي يوقع الدلالة المرجعية والحمل.

٣ - الفعل الداخل في القول illocutionary act ، الذي يعبر عن نوعية الاتصال بين المتخاطبين.

فمثلاً ، عند قلبي « لعمرك سوف آجيء » ، يتم الفعل القضوي بحمل المجيء علي أنا في المستقبل ، وأما الفعل الداخل في القول فهو الوعد بذلك.

من المهام التي تواجهها نظرية الأفعال الكلامية تصنيف هذه الأفعال وخصوصاً الداخلة في القول . فبالنسبة للأفعال الداخلة في الأقوال ، وضع سورل Searle عدة معايير خولته لتمييز خمسة أصناف هي على التوالي :

١ - الإثباتيات assertives : وهي التي تحتل إحدى قيمتي الصدق والكذب . مثالها : أخبر ، أكد ، زعم ، شرح .

٢ - التوجيهيات directives : وهي الأفعال التي يكون الغرض منها أن يجعل المتكلم المخاطب يقوم بفعل ما . مثالها : طلب ، أمر ، ترحى ، سأل .

(١) أنظر مقالنا : نظرية الأفعال الكلامية . الموسوعة الفلسفية ، مجلد ٢ .

٣ - الوعديّات commissives : والغرض منها إلزام المتكلم بالقيام بعمل ما في المستقبل . مثالها : وعد ، قسم .

٤ - البّوحيات expressives : وهي التي تعبر عن الحالة النفسية للمتكلم . مثالها : شكر ، هتّأ ، اعتذر .

٥ - التصريحيّات declaratives : وهي التي مجرد القيام بها يُحدث تغييراً في الخارج . منها : عمّد ، عيّن ، أوقع الحرم .

إزاء هذا التصنيف الذي لا يراعي تراتب الأفعال ، يختار ترابانت ثلاث جهات هي : الخبر والطلب والسؤال ، معتبراً إياها الأفعال الأصلية التي تتفرع عنها سائر الجهات . فهكذا مثلاً يكون الوعد طلباً من الذات بإنجاز فعل ما ، والتشكك نوعاً من السؤال ، والاعتراض من قبيل الخبر الخ ... وما اجتواء معظم اللغات ، من أجل تأدية الجهات الثلاثة المذكورة ، على وسائل صرفية ونحوية خاصة بها (كصيغة المضارع وصيغة الأمر ، والنبر ، والقلب ، وأدوات الاستفهام) إلا دليل على ذلك . أما رد السؤال إلى الجهتين الباقيتين ، أي إلى طلب الخبر ، فهو على العموم غير ممكن . إذ أمر شخص ما بأن « قل له ذلك » هو طلب الإخبار ، لكن ليس إخبار المتكلم كما هو الحال في السؤال بل إخبار الغائب . لذلك يتوقف ترابانت في تقسيمه للأفعال الداخلة في القول على الجهات الثلاثة المذكورة التي يختصرها بالصيغ الآتية :

١ - خبر : أقول لك : ب

٢ - طلب : أقول لك : افعل فا !

٣ - سؤال : قل لي : ب !

بالإضافة إلى تقسيم الأفعال الداخلة في القول ، يقترح ترابانت التصنيف التالي للأفعال القضيوية ، أي لما يسميه هو بممدار أو موضوع Thema الأفعال الدلالية . انطلاقاً من أن الفعل الدلالي هو تفاهم حول العالم بين فاعل وفاهم ، فموضوع التفاهم قد يكون إما

الفاعل نفسه أي المتكلم ، وإما الفاهم أي المخاطب ، وإما أمر ثالث لا يشارك في الفعل الدلالي وهو الغائب . هكذا مثلاً ، في معرض الإخبار ، يستطيع المتكلم أن يقول : « أنا غني » أو « أنت غني » أو « هو غني » ، هي غنية » . هذا التفريع الثلاثي للفعل القضوي لا يمكن تطبيقه إلا على الخبر . أما الطلب فإنه لا يتقبل سوى موضوع واحد وهو بالتحديد المخاطب ، إذ اني لا أستطيع أن أمر نفسي بفعل ما . صحيح ان المتكلم ، فيما يسمى بالحوار الذاتي أي المونولوج ، يستطيع أن يتوجه بالطلب إلى نفسه كما عند قلبي مثلاً « والآن يا عادل كفّ عن التذمر ! » ، لكن في الواقع هذا الطلب يتوجه إلى المخاطب من حيث أنني اتضاعف في اثنين : انا المتكلم وأنت المخاطب . كذلك لا يمكن اعتبار الوعد على أنه طلب من الذات بإنجاز فعل ما ، إذ الوعد ليس سوى إخبار عني بأنني اتخذت القرار بإنجاز الفعل المذكور . أما بخصوص السؤال فموضوعه أيضاً لا يمكن أن يكون بالتعريف سوى المخاطب . لكن ، بالطبع ، بما أن السؤال هو طلب الاخبار (قل لي : ب !) ، فموضوع الخبر « ب » قد يحتمل الأشخاص الثلاثة . أي المتكلم والمخاطب والغائب .

إلى جانب تفريع الأفعال الداخلة في القول من حيث المدار أو الموضوع ، يمكن تفريعها من حيثيات مختلفة ، مثلاً من حيث الحالة النفسية للمتكلم أو أيضاً من حيث العلاقة الاجتماعية بين المتكلم والمخاطب . فهكذا مثلاً قد يتدرج الخبر من الشك إلى الرأي إلى الاعتقاد إلى التأكيد ، وقد يراوح الطلب بين الأمر والتنبية والنصح والدعاء الخ ...

ان ما أجرته نظرية الأفعال الكلامية من تقسيم وتفرع ، كان من مهمة السيميائي أن تتحقق منه في سائر الأفعال الدلالية . وهذا ما يقوم به ترابانت . وبالفعل ، ان التقسيم المذكور ، إن من حيث الجهة أو من حيث الموضوع ، نجده في مجالات سيميائية متنوعة .

ففي مجال الحركة ، الربت على البطن بعد الطعام يعني اني التذت بالأكل (خبر عن المتكلم) ، ووضع إصبع الإشارة على الصدغ تجاه شخص ، يدل على اني اعتبره معتوهاً (خبر عن المخاطب) ، والمسافة بين اليدين المتقابلتين تشير إلى حجم الشيء الذي اكلم عنه (خبر عن الغائب) . أما السؤال فيؤدى عادة بالتطلع إلى المخاطب مع قتل اليد . وأما الطلب فكل إشارات شرطي السير هي من هذا النوع . كذلك تقوم الماركات بكل وظائف الأفعال الدلالية . فأرماات السير تعلن عن طلب أو عن خبر عن الغائب . قثمة أرماات تخبر عن اتجاه وبعد مدينة ما ، وثمة أرماات تأمر بالتوقف أو عدمه الخ ومن الماركات أيضاً ما يخبر عن المتكلم ، مثل شاراات الرتب ، تاج الملك ، عصا الأعمى الخ

٨ - الطقسيات والسحريات

بين الأفعال الكلامية تنفرد فئة خاصة بكونها تتطلب وجود مؤسسات اجتماعية كالدولة والدين والعائلة والصدافة الخ ... ، خلافاً لسائر الأفعال الكلامية التي هي أنماط عامة غير متعلقة بوجود مثل هذه المؤسسات . لذلك يطلق هابرماس Habermas على هذه الفئة اسم « الأفعال الكلامية المؤسسية » institutionelle Sprechakte . يقابل هذه الأفعال عند سورل كل التصريحيات وجزء من البوحيات . من قبيل ذلك أفعال إنقاء التحية والتعزية والتعديد والتعيين وإصدار الاحكام الخ

ان الافعال المؤسسية لا تنحصر فقط في الكلام ، بل تتحقق أيضاً في مجالات غير لفظية مثل : التقبيل ، الانحناء ، رفع القبة ، كسر العصا ، الرش بالماء ، رفع اليد للقسم ، لمس الكتف بالسيف الخ ...

يقسم ترابانث هذه الأفعال إلى صنفين : صنف يُستعمل لإثبات

وتأييد العلاقات الاجتماعية القائمة في مؤسسة ما ، يُطلق عليه اسم « الطقسيات » Ritualia ؛ وصنف يصلح لإضفاء خصائص اجتماعية معينة على الناس وعلى الأشياء ضمن مؤسسة ما ، يُطلق عليه اسم « السحريات » Magica .

هذان الصنفان لا يشكّلان ، بنظر ترابانت ، إفعالاً دلالية بالمعنى الحصري . فالفعل الدلالي يمتاز عنده بثلاث خصائص : فهو ، بالإضافة إلى كونه تعاونياً Kooperativ وإذا معنى Semantisch كما رأينا ، فعل إعلامي informativ أي مفيد لخبر جديد .

أما الطقسيات فهي ليست ذات معنى ، إذ ، بينما الغرض من الفعل الدلالي هو توصيل وإبلاغ أمر ما يعتقد الفاعل أنه جديد بالنسبة للناظر ، لا يمكن القول أن شخصاً ما بتقبيله لأحد الأصدقاء يريد أن يعني له بذلك أنه صديقه ، لأن الصداقة هي شرط مسبق لفعل التقبيل . وكذلك لا تفيد الطقسيات شيئاً غير معروف ، إذ أن وقوعها أمر مفروغ منه ضمن المؤسسة الاجتماعية . بل إن إبطال أو مخالفة الأفعال الطقسية هو الفعل المفيد لحدث جديد . فإذا ما مررت مثلاً بصديقي ولم ألق التحية عليه أكون بذلك قد عنيت الكف عن علاقتي به ، أو أيضاً إن حييته بالسجود أكون قد استهزأت به .

في الطقسيات ، تفتقد الأفعال الكلامية المعنى وجهة القصد الاتصالي . فبسؤالنا « كيف حالك » مثلاً ، لا نطلب في الواقع خيراً عن الحالة الصحية أو النفسية لمن نستجوبه . والدليل على ذلك أن الجواب المتعارف عليه أي « الحمد لله » هو بدوره كلمات طقسية غير مفيدة . كل ما في الأمر أننا بتلفظنا بمثل هذه الجمل الشكلية نوّكد العلاقة القائمة ما بيننا .

أما السحريات فهي أيضاً خارجة عن الأفعال الدلالية . فعندما يعيّن مسؤول في الدولة شخصاً لوظيفة ما بقوله « عيّنتك كذا » ، لا يكون بذلك يتكلم عن الواقع ، بل يكون يضيفي على الواقع خصائص

اجتماعية جديدة . وكذلك مثلاً ، عندما يردد المسلم لامرأته « طلقتك ثلاثاً » ، فهو بذلك لا يكون يصف حدثاً معيناً ، بل يوقع الحدث الذي هو الطلاق . كذلك تنتفي عن السحريات صفة التعاون ، إذ ليس من مقومات السحريات التوصيل إلى فهم الآخر . وأحياناً لا يكون الآخر إنساناً ، كما عند الاحتفال بتسمية سفينة بالقول مثلاً « اني اعمدك باسم عروس البحر » .

بالطبع لممارسة السحريات . لا بد للفاعل ان يكون متمتعاً بصلاحية ضمن مؤسسة اجتماعية . فليس كل شخص هو مخول بالتعيين أو التزويج أو التسمية الخ

٩ - الإيصال الجمالي

بما أن الموضوعات الجمالية تشكل جزءاً كبيراً من مجال علم السيمياء ، كان لا بد لتراينت أن يطرح السؤال حول علاقة الفن أي الإيصال الجمالي *ästhetische Kommunikation* بمفهوم الفعل الدلالي ، الذي انطلق منه لبناء نظريته السيميائية . والحال أنه قد سبق لمدرسة إرلنغن^(١) Erlangen أن أشارت إلى الوجه الجامع بين الفن والفعل الدلالي وإلى الوجه الذي يتباينان فيه . فكلاهما يتفقان في كونهما يستدعيان فهم الآخر بشكل ما ؛ لكن الإيصال الجمالي يختلف عن الفعل الدلالي باختلاف محط انتباه الفاهم . فبينما ، في الفعل الدلالي ، يوجه الفاهم انتباهه إلى ما يقوله الفاعل عن الواقع ؛ أي ، بقول آخر ، يوجه انتباهه عبر الفعل الدلالي إلى الواقع ، يوجه الفاهم للفن انتباهه إلى الفعل ذاته ، أي إلى الطريقة التي يستدعي بها الفاعل انتباهه . لذلك يستخلص تراينت أن الأفعال الجمالية

(١) Kamlah, W., Lorenzen, P., Logische Propädeutik PP. 56-57

هي ، كالأفعال الدلالية والطقسيات ، تعاونية . لكنها من حيث العنّي Semantizität أي الدلالة على مضمون ، ومن حيث الإعلام Informativität أي الإفادة لأمر جديد ، تختلف عن الأفعال الدلالية كما عن الطقسيات . فالأفعال الدلالية هي ذات مضمون وإفادة معاً ، من حيث أنها تُبلغ أمراً جديداً عن الواقع . أما الطقسيات فإنها تفتقر إلى مضمون ولا تفيد شيئاً ، إذ أنها لا تُبلغ عن الواقع وليست هي بالحدث الجديد . وأما الأفعال الجمالية فهي ، على غرار الطقسيات ، لا تتوخى معنى ما ، أي أنها لا تقصد تبليغ شيء ما عن الواقع ، بل هدفها جذب انتباه الفاهم إلى الفعل نفسه . بالطبع لا يمنع ذلك أن يكون للمصنوعات Oeuvre Werk الفنية وظيفة التبليغ عن الواقع ، إنما هذه الوظيفة تبقى ثانوية ، فوظيفتها الأولية Primäre هي كيفية الدلالة وليست الدلالة . من جانب آخر ، تتشابه الأفعال الجمالية مع الأفعال الدلالية من حيث أنها ذات إفادة إعلامية إذ أنها تمثل أحداثاً جديدة . ولكن الجديد في الأفعال الجمالية ليس ما تعنيه من مضمون بل كيفية كيانها .

إذن ، فالأفعال الجمالية لا تهدف بالدرجة الأولى إلى استحضر أو تمثيل الواقع ، كما هو الحال مع الأفعال الدلالية ؛ ولا تتوخى كذلك توثيق العلاقات الاجتماعية ، مثلما تفعل الطقسيات . بل إن غايتها استحداث أو إبداع واقع ما ، تعرضه على الفاهم من حيث هو موضوع فهم . وبهذا المعنى يتميز الواقع الجمالي عن واقع الطبيعة الذي لم يقصد الخالق بخلقه فهم الناس لهذا الواقع ؛ إلا إذا أخذنا بوجهة النظر التي ترى أن العالم إنما صدر عن فنان عظيم .

من حيث ابداع واقع ما ، تقارب الأفعال الجمالية السحريات ، إذ أن غاية الفعل السحري أن يضفي على واقع ما خصائص

وظائف اجتماعية جديدة ، أي أن يُبدع على المستوى الاجتماعي واقعاً جديداً . مع ذلك ، تبقى الأفعال الجمالية ، خلافاً للسحريات ، أقرب للإنتاج المادي المصنوع من الإنسان : فهي تعالج مواداً طبيعية كالحجر والمعدن واللون ، وأيضاً مواداً تم تشكيلها وفقاً لمعايير وقواعد اجتماعية كمحركات الناس ولغاتهم . لكن هذه المعالجة للواقع لا تستهدف إشباع الحاجات المعيشية ، مثلما هو الحال مع صناعة الثياب أو الأغذية أو الأدوات المنزلية ، بل غرضها الوحيد إنتاج واقع انساني هو بحد ذاته موضوع للفهم .

المصادر والمراجع

فاخوري ، عادل ، علم الدلالة عند العرب ، دراسة مقارنة مع
السيمياء الحديثة ، دار الطليعة ، بيروت ،
١٩٨٥ .

فاخوري ، عادل ، نظرية الأفعال الكلامية ، الموسوعة الفلسفية
العربية ، المجلد ، II ، ١٩٨٩ ، بيروت .

Austin, J.L., How to do things with words, London-Oxford-
New York, 1962.

Barthes, R., Eléments de sémiologie, Communication 4,
1964.

Barthes, R., Système de la mode, Paris, 1967.

Bense, M., Semiotik. allgemeine Theorie der Zeichen,
Baden-Baden, 1967.

Bense, M. - Walther, E., Wörterbuch der Semiotik, Köln, 1973.

Bentele, G., Bystrina, I., Semiotik, Stuttgart, 1978.

Buyssens, E., Les langages et le discours, Bruxelles, 1973.

Carnap, R., Meaning and Necessity, Chicago, University of
Chicago Press, 1947.

Eco, U., La struttura assente, Milano, 1968.

Eco, U., A Theory of Semiotics, Bloomington-London, 1976.

Eco, U., and Sebeok, T.A. (eds), Bloomington; Indiana Uni-
versity Press, 1983.

- Greimas, A.J., *Sémantique structurale*, Larousse, Paris, 1966.
- Greimas, A.J., *Du sens*, Le Seuil, Paris, 1970.
- Grice, H.P., «Logic and conversation». in; P. Cole and J.L. Morgan (eds.) 1975; 41-58.
- Grice, H.P., «Meaning» *Philosophical Review*, 66, p. 377-388.
- Guiraud, P., *La sémiologie*, PUF., «que sais-je?», Paris, 1970.
- Habermas, J., «Vorbereitende Bemerkungen Zu einer Theorie der Kommunikativen Kompetenz», in: J. Habermas - N. Luhman, *Theorie der Gesellschaft oder Sozialtechnologie*, Frankfurt, 1971.
- Hervy, S., *Semiotic Perspectives*, London, 1982.
- Hjelmslev, L., *Prolégomènes à une théorie du langage*, Ed. de Minuit, Paris, 1968.
- Kamlah, W.- Lorenzen, P., *Logische Propädeutik, oder Vor-schule des vernünftigen Redens*, Mannheim 1967.
- Klaus, G. *Semiotik und Erkenntnistheorie*, Berlin, 1963.
- Kristeva, J., *Semeiotiké, Recherches pour une sémanalyse*, Paris, 1969.
- Martinet, J., *Clefs pour la sémiologie*, Seghers, Paris, 1973.
- Mead, G.H., *The Philosophy of the Act*, Chicago-London 1972.
- Morris, Ch. W., *Foundations of the Theory of Signs*, Chicago, 1938.
- Morris, Ch. W., *Signs, Language, and Behavior*, Englewood, Cliffs, 1946.
- Morris, Ch. W., *Signification and Significance*, Cambridge, Massachusetts, 1964.
- Mounin, G., *Introduction à la sémiologie*, Ed. de Minuit, Paris, 1970.
- Ogden, G.K.- Richards, I.A., *The Meaning of Meaning*, London 1952.

- Peirce, C.S., Collected Papers, Harvard University Press, Vol. I-IV 1931-1935, Vol. VII and VIII, 1958.
- Peirce, C.S., Letters to Lady Welby, New Haven/Conn., Whitlock's, 1953.
- Peirce, C.S., Die Festigung der Überzeugung und andere Schriften, Badenn-Baden, 1967.
- Prieto, L.J., Messages et signaux, PUF, Paris, 1966.
- Prieto, L.J., Pertinence et. pratique, Ed. de Minuit, Paris, 1975.
- Resnikow, L.O., Erkenntnistheoretische Fragen der Semiotik, Berlin (DDR) 1968.
- Saussure, F. de, Cours de linguistique générale, Paris, 1962.
- Schaff, A., Einführung in die Semantik, Reinbek, 1973.
- Sebeok, T.A., Contributions to the Doctrine of Signs, Bloomington, 1976.
- Sebeok, J.U., Marketing and Semiotics, Mouton de Gruyter, Berlin. New York. Amsterdam, 1987
- Searle, J.R., Speech Acts, Cambridge, 1969.
- Searle, J.R., Expression and Meaning, Cambridge, 1979.
- Trabant, J., Elemente der Semiotik, München, 1976.
- Walther, E., Allgemeine Zeichenlehre, Stuttgart, 1979.

9./3.000/1110